مؤتمر برلين واثاره على الخريطـــة السياسية لغرب افريقيـــا

للدكتـــور عبد الله عبد الرازق ابراهيم

شهدت مدينة برلين فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر مؤتمرين دوليين كان لهما أبلغ الاثر فى مستقبل العالم الغربى خاصة ومســـتقبل القارة الأفريقية عامة •

عقد المؤتمر الاول فى ١٣ يولية ١٨٧٨ وذلك لتسوية الخلافات بين تركيا والدول الأخرى خاصة فيما يتعلق بالشئون البلقانية ، وانعقد المؤتمر الثانى فى ١٥ نوفمبر ١٨٨٤ ، واتتهى فى ٢٦ فبراير عـــام ١٨٨٥ وذلك لمناقشة مسائل كثيرة من بينها حرية الملاحة فى حوض نهر الكونغو وتنظيم عمليات الاستعمار الاوربى فى القارة الافريقية • لكن لماذا وقع الاختيار على هذه المدينة بالذات لعقد هذين المؤتمرين الهامين بالرغم من حداثة المانيا فى المجال الاستعمارى • وما هى الدوافع التى دعت الى عقدهما ، وما اثرهما على القارة الافريقية والبلدان الغربية بالذات والى أى حد رسمت هذه المؤتمرات للقوى الاستعمارية طريق تقسيم هذه المناطق من العالم ؟ كل هذه تساؤلات تحتاج للاجابة عليها •

واذا كان مؤتمر برلين لعام ١٨٧٨ قد لقى اهتماما من الدارســين والباحثين العرب نظرا لأنه يمس فى المقام الأول بعض الدول العربية • فان مؤتمر برلين لعام ١٨٨٤ ــ ١٨٨٥ يستحق المزيد من الدراسة والبحث • ولذا اخترت هذا المؤتمر الثانى لمحاولة القاء الضوء على دواعى انعقاده والعقبات التى واجهت انعقاده وما دار فى جلساته ، ثم المباحثات الجانبية التى واكبت انعقاد المؤتمر ، ثم اثره على مستقبل افريقيا فى الربع الاخير من القرن الماضى خاصة وقد توفرت لدى العديد من الوثائق القريدة المتعلقة بالمؤتمر بالاضافة الى الابحاث والمراجع التى تناولت جانبا أو أكثر من جوانب الموضوعات التى تتعلق بالمؤتمر ، وقد اتسم بعضها بالتحيز ، كما اتسم البعض الاخر بمحاولة تحرى الحقيقة وقد ظهر ذلك مــن مناقشتنا للقضايا والجوانب المختلفة المفصلة بالبحث •

وقد تناول البحث النقاط التالية :

* الاوضاع الدولية فى الفترة السابقة لانعقاد المؤتمر .
* نشاط الدول الاوربية فى افريقيا قبيل انعقاد المؤتمر .
* تطور مشكلة الكنغو قبل عقد المؤتمر .
* الظروف التى مهدت لعقد مؤتمر برلين .
* المؤتمر ومادار فى جلساته .

الاوضاع الدولية فى الفترة السابقة لانعقاد المؤتمر

تتطلب دراسة مؤتمر برلين لعام ١٨٨٤ ــ ١٨٨٥ عرضا سريعا للوضع الاوربى الدولى فى الفترة السابقة لانعقاد هذا المؤتمر ، ويقودنا هذا الى الرجوع قليلا الى عام ١٨٧٠ ، ذلك العام الذى شهد دخــول الالمان فرنسا وكان ذلك نذيرا بانهاء عهد وبداية عصر جديد بعد هزيمة فرنسا وتخليها عن زعامتها لاوربا ، فقام بسمارك بدور قيادى فى القارة الاوربية بعد ان جعل من المانيا دولة كبرى حيث اتحدت معظم الولايات الناطقــة باللغة الالمانية حول بروسيا من أجل انشاء اتحاد يمكن المانيا من الدخول فى عالم الصناعة ، وأدى هــذا بالفعل الى ظهور دولة أوربية جديدة ، استطاعت ان تنافس فرنسا عسكريا ، وانجلترا صناعيا (١) .

ترتب على الوحدة الالمانية وانتصار جيوش المانيا على فرنسا ودخولها باريس ، وتوقيع معاهدة فرانكورت حركة ثورية كبرى ، حيث تحــول الشعب الالمانى من شعب يعشق الادب والموسيقى والفلسفة الى شــعب عملى يثق بقوة الحديد والنار ، وكان لابد من توجيه هذه القوى الى ميادين الصناعة والتجارة واستطاعت الحكومة الالمانية فى ذلك الوقت ان تضع سياسة صناعية موحدة بعد توجيه اموال التعويضات الحربية التى حصلت عليها من فرنسا الى تمويل الصناعة ، كما اســتفادت من الصناعات الناجحة فى اقليمى الالزاس واللورين ، ونتيجة لهذه السياسة أخذت الصناعة الالمانية تشق طريقها الى الاسواق (٢) .

---

١ ــ Oliver Ronald and Antony Atmore : Africa Since 1800, London 1967, p. 110.

٢ ــ رياض ، زاهر : استعمار افريقيا القاهرة ١٩٦٥ . ص ــ ١٣٠

وبينما كانت الصناعة تتطور فى انتاجها ، وجهت الحكومة عناية كبيرة لتنمية البحرية الالمانية حيث تضاعفت سفن الامبراطورية الالمانية فى الفترة بين ١٨٧٠ ، ١٨٩٠ سبعة أمثالها وارتفعت فى المانيا الأصوات عالية مطالبة بمستعمرات ووضع حماية جمركية ضد القمح الامريكى ، والمصنوعات الانجليزية وبلغ الضغط حدته عندما اكره الشعب بسمارك على التسليم بمطالبة فأقر فى عام ١٨٧٩ مبدأ حماية الصناعة الالمانية كأساس لسياسته الجمركية ثم اسرع بعد ثلاث سنوات يوجه المانيا فى طريق الاستعمار (٣).

وكان لتفوق المانيا فى ميدان الاقتصاد والتجارة أن أصبحت غنيـة بمواردها الاقتصادية ، وازداد الحماس الوطنى من الشباب الالمانى لكن بسمارك وجد ان فرنسا رغم هزيمتها الحربية لازالت تحتفظ بحيويتها الكبيرة ونشاطها الواضح ، ولذا فانه وجه سياسته الخارجية على اساس ان فرنسا تمثل عدوه اللدود فأخذ يشجعها على امتلاك تونس كى تتشاحن مع ايطاليا ، وشجع انجلترا على امتلاك مصر كى تتصارع مع فرنسا . وفى شرق أوربا وجد ان أفضل وسيلة لمنع تحالف دولى ضده قد تنظمه فرنسا الحاقدة على بلاده هى تكوينه التحالف الامبراطورى الثلاثى بين روسيا والمانيا والنمسا فى عام ١٨٧٩ وانضمت اليه ايطاليا فيما بعد فى عـام ١٨٨٢ (٤) .

ولم يكن امام المانيا من وسيلة لدعم صـناعاتها وجعلهـا تنافس المصنوعات الاوربية الاخرى الا بالحصول على مستعمرات غنية تجـد فيها المواد الخام اللازمة لصناعتها ووجدت المانيا ضالتها المنشوده فى القارة الافريقية وكانت المانيا قد تأخرت فى مجال الاستعمار وكان عليها ان تتحرك بسرعة لتأخذ نصيبها من القارة الافريقية (٥) .

واندفع الرأسماليون الالمان الى سواحل افريقيا يطلبون من حكوماتهم المراسيم التى تبيح لهم حق الاتجار فى المناطق التى يجدونها ملائمة كمجال لنشاطهم ، ولم تتردد الحكومة الالمانية فى ذلك الوقت عن اجابة رغبتهم بعد

---

٣ ــ فيشر ، هيربرت : تاريخ اوروبا فى العصر الحديث ١٨٧٩ تعريب احمد نجيب هاشم ووديع الضبع . ص ٣٨٦ .

٤ ــ المرجع نفسه . ص ٣٨٩ .

٥ ــ Tull, G. and P. Buliver : Britain and the World in the 20th Century, London 1971, p. 5.

ان أخذ الكتاب الالمان يشيرون الى ضرورة ايجاد مستعمرات لالمانيا لترويج تجارتها (٦) .

وفى عام ١٨٧٨ انشئت الجمعية الالمانية للدراسات الافريقية فى مدينة برلين وأخذ المستكشفون الالمان يعملون فى المنطقة بين زنجبار وتنجانيقا . وفى عام ١٨٨٢ انشئت الجمعية الالمانية للاستعمار (German Colonial Society) فى مدينة فرانكفورت وادى ذلك الى مضاعفة نشاط الالمان الاستعمارى (٧) .

وكان هدف هذه الجمعية الدعوة الى اقامة مستعمرات وتجميع الجهود لهذا الغرض ، وتمكنت الجمعية ـ عام ١٨٨٤ من اصدار صحيفة باسمها وسميت بالصحيفة الاستعمارية وضمت هذه الجمعية أكثر من عشرة الاف عضو (٨) .

وكان بسمارك حتى عام ١٨٨٤ يعارض انشاء مستعمرات المانية فيما وراء البحار حتى يظل محتفظا بمكان الصدارة داخل القارة الأوربية ، وقد علل ذلك بعدة اعتبارات منها الرغبة فى تحقيق الامن للرايخ الالمانى وذلك بالابتعاد عن مشكلات الاستعمار التى تؤدى الى الاحتكاك مع بقية الدول ، ومنها عدم اقتناعه بالحصول على مستعمرات لدولة ناشئة مثل المانيا ، ومنها اعتقاده بأن الالمان ليسوا فى وضع يجعلهم يدخلون مجال المنافسة مع البريطانيين . وعلى هذا ظل بسمارك ردحا طويلا من الزمن يعارض السياسة الاستعمارية ولكن لم يلبث ان تغير الوضع بسرعة حتى انه فى غضون عام واحد ، كانت المانيا قد كونت امبراطوريتها الافريقية ، حيث يرجع النفوذ الالمانى فى الكاميرون الى يولية ١٨٨٤ وفى جنوب غرب افريقيا الالمانية الى أغسطس ١٨٨٤ ، وفى غينيا الجديدة الى ديسمبر من نفس العام ، وفى افريقيا الشرقية الالمانية الى مايو ١٨٨٥ وكما اضيفت

---

٦ ــ صفوت ، محمد مصطفى : مؤتمر برلين ١٨٧٨ . ص ٨ .

٧ ــ الجمل ، شوقى عطا الله : تاريخ كشف افريقيا واستعمارها . ص ٤٠٩ .

٨ ــ لاشين ، فوزى على :، الاستعمار الالمانى لجنوب غرب افريقيا ، رسالة ما جستير غير منشورة بمعهد البحوث الافريقية القاهرة ١٩٧٨ . ص ٤٠ .

ساموا (Samoa) فى عـام ١٨٩٩ وهـكذا اكتملت الامبراطورية الاستعمارية الالمانية فى فترة وجيزة (٩) .

وكان بسمارك قد دعى مجلس الشيوخ الالمانى فى عام ١٨٨٣ وأطلعهم على الطريقة التى استولت بها فرنسا على مناطق فى سيراليون وطلب من المجلس المقترحات حول حماية الحكومة الالمانية للتجارة فى المستقبل . وكان اعلان المانيا لسيادتها على هذه المناطق السالفة الذكر فى افريقيا مفاجأة كبرى للدبلوماسيين الاوربيين (١٠) .

افاقت انجلترا من سياسة الحياد الطويل والعزلة التى اتبعتها لتجد فرنسا حليفتها فى حرب القرم وقد تحطمت قوتها، ووجدت أمامها دولة أخرى ناشئة أكثر منها قوة ، وبالطبع خشيت انجلترا من هذه القوة الجديدة وكان بسمارك يعرف شعور انجلترا ويعرف جلادستون وزملاءه من الاحرار ، ولكن تغير الموقف حين تولى زعيم المحافظين الوزارة فلقد كان دزرائيلى يسعى لاتباع سياسة خارجية نشطة ، تخرج بريطانيا من عزلتها ، وتعيـد اليها مركزها فى أوربا ولهذا كان بسمارك حريصا على ارضاء انجلترا فى عهدها الجديد (١١) .

وكان الاقتصـاد الأوربى قد مر بأزمة عنيفة فى الفترة بين ١٨٧٠ ، ١٨٨٠ وبالتالى فقدت انجلترا احتكارها الصناعى العالمى ، ووجدت من ينافسها من دول القارة ، وقد تطلب حل المشكلة البحث عن أسواق فيما وراء البحار ، وأخذ أصحاب المصـالح والتجار يحولون اهتمامهم نحو القارة ، وأندفع المغامرون والتجـار بحثا عن المعـاهدات التى تضـع مناطق من تلك الجهات تحت سيطرة الدول الاوربية .

وقد تحركت انجلترا صوب غرب افريقيا تحت ضغط فرنسا وبلجيكا ودخلت فى صراع مع المانيا فى شرق افريقيا ، ومن ثم بدأ التكالب على القارة الافريقية من أجل الحصول على المناطق الغنية بالمواد الخام (١٢) .

---

٩ — Talylor, A.J.P. : Bismark's Accidental Acquistion of African Empire, p. 20.

١٠— Oliver, Ronald and Atmore : Op. cit. p. 110.

١١— صفوت ، محمد مصطفى : مرجع سابق . ص ١١ .

١٢— عودة ، عبد الملك : السياسة والحكم فى افريقيا ص ٩٣ .

أما بالنسبة لفرنسا فان ثلاثة عوامل ساهمت بشكل فعال فى اثارة الرأى العام الفرنسى نحو الاستعمار ، واعنى هذه الانجازات التكنولوجية المشهورة فى العالم ككل ثم اكتشاف الماس فى عام ١٨٦٦ فى جنوب افريقيا ، وأخيرا تلك الروح القومية التى تولدت لدى الشعب الفرنسى بعد هزيمة فرنسا فى عام ١٨٧١ ، وقد كان فقدان الالزاس واللورين عاملا فى اثارة مختلف الطبقات نحو اظهار ان فرنسا لازالت دولة قوية قادرة على التوسع واكمال مهمتها الحضارية (١٣) •

وبدأ مع اشراقة عام ١٨٧٠ ظهور موقف جديد فى غرب افريقيا حيث لم تعد التجارة مقصورة على الساحل فقط بل أخذ التجار يتوغلون تدريجيا نحو الداخل مع امتداد السكك الحديدية ، وأخذ الفرنسيون بالذات يشقون طريقهم فى داخل وادى السنغال وأصبح من الواضح انهم يهدفون الى ربط السنغال واعالى النيجر بخط حديدى لكى تصبح تجارة ومنتجات غرب القارة فى ايدى الفرنسيين • وبالطبع فان مثل هذا الموقف يؤثر بشكل مباشر على المراكز التجارية البريطانية فى غمبيا كما يؤثر على الطرق التجارية المؤدية الى سيراليون وساحل الذهب (١٤) •

وكانت بريطانيا حريصة على مصالحها فى مناطق غرب افريقيا ما بين داهومى والكاميرون ، وكانت قد بدأت هذا الدور كتاجر للرقيق ثم كرجل بوليس يعمل على الحد من هذه التجارة وأخيرا كتاجر شرعى • وقد نجحت خلال القرن الثامن عشر فى المحافظة على احتكارها الكامل لتجارة الرقيق ، وبعد الغاء هذه التجارة فى أوائل القرن التاسع عشر أخذت على عاتقها مهمة القضاء على الذين يمارسون التجارة بها فى ذلك الجزء من العالم (١٥) •

ولم يكن هناك تدخل من جانب القوى الاخرى فظلت المنطقة طيلة ثلاثة ارباع قرن تمارس فيها بريطانيا الى جانب القضاء على تجارة الرقيق بعض الاعمال التجارية المشروعة ، وأخذ التجار يتبادلون منتجات زيت النخيل والعاج مقابل بعض السلع الصناعية الرخيصة (١٦) •

١٣ــ Gann, L. H. and Péter Duignan : Colonialism in Africa 1870-1960 p. 139.

١٤ــ Oliver Ronald and Atmore : Op. Cit. p. 105.

١٥ــ Burns Alan : History of Nigeria, pp. 72-74.

١٦ــ Crowe, S.E. : The Berlin West African Conference, 1884-1885, London 1941, p. 121.

وخلال العقد السابع من القرن التاسع عشر بدأت بريطانيا فى تقوية نفوذها القنصلى فى غرب افريقيا ولكن ذلك لم يكن فعلا حتى عام ١٨٨٠ عندما بدأت تتخذ خطوات ايجابية لتأكيد مكانتها بسبب ظهور الفرنسيين كقوة على مسرح الاحداث حيث كانت فرنسا تسعى لشق الطريق باستمرار منذ عام ١٨٦٠ نحو الداخل شرقا من قاعدتها فى السنغال (١٧). وكانت فرنسا قد بدأت تندفع نحو أعالى النيجر بعد سلسلة من العمليات العسكرية فى سانجامبيا بهدف الوصول الى النيجر والاتجار فيه عن طريق ربطه بخط حديدى يصل الى المجرى الملاحى لنهر السنغال (١٨) .

ولتحقيق هذا الغرض عبر القائد الرنسى جالينى (Gallieni) الى أعالى النيجر ونجح فى عام ١٨٨١ فى عقد معاهدة اعطت لفرنسا محمية على الشاطىء الشمالى للنهر ، هذا فى الوقت الذى كانت التجارة الانجليزية فى هذه الجهات عاجزة عن حماية نفسها (١٩) .

وبدأت العمليات الفرنسية فى أعالى النيجر فى عام ١٨٧٨ عندما زار هذه المنطقة الكونت دى سيميل (Conte de Semelle) ، وعندما عاد الى فرنسا اقنع الشركات الفرنسية بتكوين شركة فرنسية اطلق عليها اسم « الشركة الفرنسية لافريقيا الاستوائية «Compagnie Francaise de l'Afrique Equatoriale» بالاضافة الى شركة اخرى هى شركة السنغال والجانب الغربى من افريقيا ، وقد حقق الكونت دى سيميل نجاحا فى رحلته بالباخرة ادماوا (Admawa) التى وصلت الى النيجر فى عام ١٨٨٠ ، ولكنه وجد معارضة من موظفى الشركة الافريقية لمتحدة (United African Company) التى كان قد كونها التجار البريطانيون فى حوض النيجر . وفى عام ١٨٨٢ ادرك الفرنسيون ان الانجليز قد استقروا فى حوض النيجر لذا نجد أنهم يركزون على نهر نوى حتى يكون خطوة نحو التوسع فى حوض تشاد ، وقد نجح السير جورج جولدى (George Goldie) فى الحد من

١٧— Keltie, John Scott : The Scramble After Years of preliminary Activity, compiled by Raymond Betts, p. 9.

١٨— Crowe, S.E. : Op. Cit. p. 122.

١٩— F.O. 146 / Correspondence Respecting Affairs in the Oil River District on the West Coast of Africa and the Question of the British Protectorate Confidential Print, No. 4827 and No. 27.

النشاط الفرنسى بشن حرب قاسية فى الاسعار على الشركات الفرنسية حتى افلست هـذه الشركات وفى عـام ١٨٨٤ باعت حقوقهـا للشركات البريطانية (٢٠) .

كان هذا الصراع بين تلك الدول الاستعمارية الاوربية من العوامل التى غيرت مجرى الأمور السياسـية وزادت من تفاقم الموقف الاوربى بعد عام ١٨٨٠ م .

ولم يشهد هذا العام حقيقة دوفع أو حوافز من جانب اية دولة اوربية للقيام بمغامرة استعمارية فى افريقيا ، ذلك لأن العمل الاستعمارى لم يكن مقبولا سياسيا ، كما انه غير مشجع اقتصاديا ، ولم تكن تجارة الرقيق تغـرى باحتـلال اى جـزء مـن افريقيا بسبب التحول الى التجـارة المشروعة (٢١) .

نشاط الدول الاوربية فى افريقيا قبل انعقـاد المـؤتمر

ان دراسة نشاط القوى الاوربية قبل انعقاد المؤتمر تقودنا الى ان تتسائل : كيف تغير الرأى الاوربى ما بين اعوام ١٨٨٠ ، ١٨٨٥ لدرجة انه فى خلال عشرين عاما صارت القارة الافريقية باستثناء اثيوبيا وليبيريا خاضعة للاستعمار الاوربى .

٢٠ــ فى عام ١٨٧٨ تأسست أربع شركات كبرى للتجارة على طول نهـر النيجر هى شركة الكسـندر ميلر Alexander Miller فى مدينة جلاسـجو (Glassgo) ، وشركة جميس بينيـكوك (James Benikok) فىليفربول (Liverpool) وشركة غرب افريقيا (West African Company) فى ما نشستر (Manchester) ، والشركة المـركزية الافريقية فى لنـدن (African Central Company)) ــ وقـد وحـد السير جروج جولدى هذه الشركة تحت اسم الشركة الافريقية المتحدة من عام ١٨٧٩ حتى عام ١٨٨١ ثم تغير أسمها الى الشركة الوطنية الافريقية (National African Co.))حتى عام ١٨٨٦ لتصبح بعد ذلك شركة النيجر الملكية Royal Niger Company من ١٨٨٦ حتى عام ١٨٩٩ ــ انظر فلتاووس ، بطرس فخرى : شركة النيجر الملكية ــ رسالة ماجستير غير منشورة بمعهـد البحوث والـدراسات الافريقية عام ١٩٨٠ .

٢١ــ Crowder, Michael : West Africa Under Colonial Rule, p. 56.

ان خريطة أفريقيا فى عام ١٨٨٤ توضح هذه الحقيقة ، فلقد كانت أهم القوى فى تلك الفترة هى انجلترا وفرنسا والبرتغال وكانت البرتغال تدعى سيطرتها على مناطق شاسعة من افريقيا ولكن احتلالها الفعلى لهذه المناطق لم يكن جادا ، وكانت بريطانيا تحبذ فكرة استحواز البرتغال على شريط يمتد من خط ١٢ ر ٥° الى خط ٨° جنوبا بما فى ذلك مصب نهر الكونغو ، حيث لم تكن دولة الكونغو الحرة قد برزت بعد الى حيز الوجود (٢٢) .

اما بالنسبة لفرنسا فكانت قد استقرت منذ بداية القرن التاسع عشر فى الجزائر ، ثم وجدت لها موضع قدم على الساحل الغربى لافريقيا واخذت تتطلع نحو النيجر كما وسعت مجال نفوذها فى الجابون واستولت على منطقة واسعة من الكونغو على ضفة النهر اليمنى ، وكانت تسعى لوضع مدغشقر تحت نفوذها . اما بريطانيا فكانت تسيطر عمليا على بعض المناطق فى جنوب افريقيا حتى نهر اورنج وخليج دالجو ،وكانت تستعد للسيطرة على بتسوانلاند ، وعلى الساحل الغربى كانت تتمسك بمستعمراتها الاربع هناك ، وكانت لها بعض مناطق النفوذ فى مملكة المتابيلى فى وسط القارة ، بالاضافة الى نفوذها فى زنجبار (٢٣) .

وكانت مصر فى تلك الفترة قد فقدت السودان بسبب الثورة المهدية وكانت ايطاليا تتطلع الى السيطرة على ليبيا ، بينما كان تجارها يرتادون مناطق من الحبشة ، واما اسبانيا فلم يكن لها موضع قدم على ساحل السودانى الغربى بالرغم من ادعاءاتها فى بعض المناطق هناك (٢٤) .

ويعتبر عام ١٨٨٠ عاما حاسما فى تاريخ ايطاليا الاستعمارى حيث ثبت الايطاليون اقدامهم لاول مرة فى القارة الافريقية فى منطقة خليج عصب (Assab Bay) شمال اوبوك التى استولت عليها فرنسا على ساحل البحر الاحمر ، وكانت انظارهم تتطلع الى تونس ، لكن فرنسا افسدت عليهم

٢٢ــ خلف الله ، عبد الغنى : مستقبل أفريقيا السياسى ، القاهرة١٩٦١. ص ٢٥ .

٢٣ــ Kelite, John : Op. Cit. p. 9.

٢٤ــ عبده ، على ابراهيم : مصر وافريقيا فى العصر الحديث ص ١١٩ .

خطتهم ، باحتلالها لها ــ فاتجهت انظارهم بعد ذلك الى منطقة الحبشة وشرق افريقيا •

كان هذا هو الوضع فى القارة الافريقية عندما فجرت عملية التكالب الاستعمارى على افريقيا •

لقد كان للتقدم التكنولوجى فى اوربا فى ذلك الوقت ، والوضع الاقتصادى اثرهما على الاستعمار الاوربى لافريقيا كما ان التقدم فى العلوم الجغرافية احدث ثورة فكرية جعلت دول اوربا تشعر بأن قارة جديدة واجناسا مختلفة يمكن ان تسهم فى حضارة العالم ، ومن ثم اخذ ميزان القوى يتغير (٢٥) •

ومنذ عام ١٨٨٠ كان التكالب للحصول على أسواق للمنتجات الأوربية فى افريقيا من اهم الدوافع التى دفعت الدول الاستعمارية لاستعمار اجزاء من هذه القارة ، وقد برزت احواض الكونغو والنيجر بمثابة الممرات الطبيعية نحو الاسواق الداخلية التى كان رجال الصناعة فى اوربا يبحثون عنها لتصريف فائض رأس المال ، وكانت تقارير الرحالة ومنهم هنرى بارث (Henry Barth) قد اعطت الثقة للتجار ، واكدت لهم المكاسب التى يمكن الحصول عليها من الداخل وكان هذا عاملا اساسيا للسعى لجعل احواض الكونغو والنيجر حرة للملاحة لكافة الدول بينما كانت النزعة الاستعمارية والسعى نحو بناء الامبراطوريات ، وتحقيق الامجاد القومية ونظريات العنصرية والسيادة للرجل الابيض ــ كانت عوامل تهدف جميعها الى ضرورة خضوع افريقيا للحكم الاوربى (٢٦) •

ومن هنا جاء التكالب على افريقيا وسعى الدول الاوربية للسيطرة على اكبر جزء من القارة وكانت فرنسا تعارض اى توسع اجنبى آخر فى غرب القارة بعد ما حققته من تقدم ملموس فى منطقة السنغال ، وكانت الحكومة البريطانية تعارض ايضا اية توسعات استعمارية فى المستقبل لا تفى بتغطية نفقات ادارتها ، وكانت المانيا تعارض المشروعات الاستعمارية ، ورغم كل هذا فقد تكالبت الدول الاستعمارية على القارة ذلك لأن الشكوك المتبادلة

٢٥ــ Banning, Emile: The Peaceful Penetration of Africa Compiled by Betts in the Scramble for Africa, p. 2.

٢٦ــ Crowder, M : Op. Cit. p. 58.

بين هذه القوى جعلت كل منها يقدم على التوسع الاستعمارى خوفا من ضياع اسواقه اذا ما سيطرت عليها قوة اخرى (٢٧) .

وكان نشاط استانلى فى حوض الكونغو ، وبخاصة فى تأسيس اول محطة هناك باسم المنظمة الدولية التى نادى بها الملك ليوبولد ملك بلجيكا فى عام ١٨٨٠ ، وكذلك المعاهدات التى وقعها مع الزعماء الوطنيين دافعا لأن يكشف الملك ليوولد القناع عن أغراض الهيئة (هيئة الكونغو الاعلى) . وكانت عملية تجريده الهيئة الدولية من صفتها العالمية وجعلها مشروعا بلجيكيا بحتا هى الشرارة الاخيرة التى الهبت التوسع الاستعمارى الاوربى فى القارة الافريقية ، وجعلت الدول الاوربية تتسابق فى الحصول على ارض افريقية حيث احتلت فرنسا تونس عام ١٨٨١ ، احتلت انجلترا مصر فى عام ١٨٨٢ وتتابعت عمليات التوسع والاستعمار (٢٨) .

ويرى روبنسون وجلاجار (Robinson and Gallaghar) ان عملية تقسيم افريقيا المدارية فى هذه الفترة يرجع اساسا الى الازمة فى مصر فعندما دخل البريطانيون مصر بدأ التكالب وبعد ان استقروا فى القاهرة اندفعت الدول الاوربية الاخرى فى مجال الاستعمار فى افريقيا حتى انه لم يبق هناك جزء من القارة لم تمسه يد المستعمرين، وكان هدف بريطانيا من احتلال مصر ــ على حد زعمه ــ هو ضمان أمن مصر والبحر المتوسط والشرق ، ولتحقيق هذا الامن اصبح ضروريا احتلال مصر مما جعل القوى الاخرى اكثر توترا ودخلت افريقيا فى مجال المنافسة الاوربية ومن ثم فان احتلال مصر اعطى الاشارة للتكالب الاستعمارى على القارة (٢٩) .

على كل يمكن القول انه بسبب هذا الصراع بين القوى الأوربية وفى جو الشكوك التى ساورت كل منها فى نوايا الدولة الاخرى بدأت الخيوط التى تجمعت فى النهاية وادت لعقد مؤتمر دولى تناقش فيه تلك القضايا الافريقية ورغم ان هذا المؤتمر كان فى بدايته مهتما اساسا بمسألة الكونغو كما ادعت الدول الداعية اليه فانه امتد ليشمل قضايا اخرى . ونبعت فكرة المؤتمر اصلا للقضاء على معاهدة لم تعتمد بعد بين بريطانيا والبرتغال فى ٢٦ فبراير

٢٧ــ Ibid : p. 60.

٢٨ ــ عبده ، على ابراهيم : مرجع سابق ، ص ١١٦ .

٢٩ ــ Robinson, Ronald and John Gallaghar : Africa and the Victorians, pp. 163-165.

١٨٨٤ ، ورغم ان هذه المعاهدة تتعلق أساسا بانجلترا والبرتغال الا أنها امتدت لتشمل قوى اخرى مثل فرنسا والمنظمة الدولية للكونغو وامتد نطاقها فيما بعد فشملت عدة دول أخرى (٣٠) .

وكانت انجلترا قد تفاوضت مع البرتغال من أجل القيام بعمل مشترك ضد مشروع ليوبولد بتجريد الهيئة من الصبغة الدولية وتحويلها الى مشروع بلجيكى بحت ، ووصلت الدولتان فى ٢٦ فبراير ١٨٨٤ الى اتفاق تعترف فيه بريطانيا باحقية البرتغال فى الاستيلاء على اقليم الكونغو بين خطى عرض ١٢ ، ٨ جنوبا على أن تكفل حرية الملاحة فى كل من الكونغو والنيجر وأن تعمل الدولتان سويا للقضاء على تجارة الرقيق ، وكانت بريطانيا ترى فى الاعتراف بحقوق البرتغال فى الكونغو خطوة تمهيدية لفرض السيادة البريطانية عليه (٣١) .

تطور مشكلة الكونغو قبل عقد مؤتمر برلين

المعروف أن البرتغال هى اقدم الدول الاستعمارية نشاطا فى منطقة الكونغو ولكن ادعاءاتها فى هذه المناطق لم تكن واضحة ولم تؤيد ذلك باحتلال فعلى بل ارتبطت مصالحها فى هذه المنطقة طوال أربعة قرون بتجارة الرقيق التى الغيت رسميا فى مؤتمر فيينا فى ١٨١٥ ، ورغم هذا فقد استمرت البرتغال تمارس هذه التجارة ، وكانت كل من بريطانيا وفرنسا تعملان على منع اية قوة تمارس العمل فى تجارة الرقيق ن السيطرة على مصب نهر الكونغو أو الشواطىء المجاورة فيما بين خطى عرض ١٢° و ٨° جنوبا ، وبذا صارت هذه الأرض تمثل أرضا لا صاحب (Res Nellius) تمارس كل القوى التجارة فيها فى ظل من الحرية الكاملة ، ومع اكتشاف الاوربيين لوجود كميات ضخمة من المطاط والعاج وزيت النخيل والفول السودانى فى حوض الكونغو ، وحاجة الدول الأوربية لهذه المواد لصناعة الصابون والشمع ــ بدأ نشاط البيوت التجارية الضخمة فى مصب النهر (٣٢) .

---

٣٠ ــ Crowe, S.E. : Op. Cit. p. 11.

٣١ ــ الجمل ، شوقى عطا الله : مرجع سابق ص ٣٠٩ .

٣٢ ــ F.O. : 84/1816 Petre to Granville April, 13, 1884, Africa 27, (Enclosure list of factories established on Banks of Congo, February 1883).

وبدأت الدول الأوربية تهتم بالسيطرة على مناطق نهر الكونغـو ، وكانت الادعاءات الاقليمية التى حصل عليها دى برازا (De Braza) لصالح فرنسا مسئولة بشكل مباشر عن تلك الاتفاقية البرتغالية البريطانية التى اشرنا اليها سابقا • وكانت بريطانيا تهتم بحرية التجارة أكثر من غيرها فى ذلك الوقت ، كما كانت ترى الاعتراف بحقوق البرتغـال فى حوض الكونغو خطوة تمهيدية لفرض السيطرة البريطانية عليه (٣٣) •

وكانت انجلترا تسعى الى عقد معاهدة مع البرتغال لانها كانت فى ذلك الوقت حليفة لها ، وكانت انجلترا تهتم اساسا بتسوية المشـكلات الدولية فى غرب افريقيا والتى كان الكونغو يشـغل جزءا كبيرا منهـا ، وقد اقترح السفير البريطـانى فى لشـبونة (السير روبرت موريير) (Robert Morier) ان تعترف بريطانيا بحقوق ومطالب البرتغـال بحيث يصبح الشاطىء الشمالى تابعا لانجلترا ، وأن يوضع النهر نفسه تحت الرقابة الدولية ولكن الحكومة البريطانية لم تهتم بهذا الاقتراح(٣٤)•

واسـتمرت المفاوضـات حول الكونغو وفى أكتوبر ١٨٨٣ نوقش موضوع الكونغو مرة ثانية وكان الخوف من نشاط فرنسا هو المسيطر على الساسة البريطانيين فى هذه المفاوضـات ، وكانت البرتغال تخشى من نفوذ الدول الأوربية الأخرى التى اخذت تعمل بنشـاط فى حوض الكونغو ، ولذا فانها انتهزت الفرصـة وفرضت نفوذها على الشـاطىء الجنوبى للنهر ، وكانت تحبذ عقد اتفاق مع انجلترا لأنها أقل طموحـا من فرنسا ، واستمرت المفوضات حوالى أربع وعشرين شهرا نظرا للعديد من المشاكل التى واجهت هذه المباحثات الثنائية بين الدولتين ـ لكن انتهى الأمر بتوقيع الاتفاق البريطانى البرتغالى الذى يقضى ببسط البرتغـال نفوذها على حوض الكونغو (٣٥) •

---

٣٣ ـ Johnston, Harry : A History of the Colonization of Africa, London 1963, p. 343.

٣٤ ـ هذه المعاهدة كانت تقضى فى نظر واضعها باقامة ... بريطانيه على الكونغو مقابل الاعتراف بمطالب البرتغال القديمة على المنطقة الواقعة مابين خط ١٢ ٥ ٨ من خطوط العرض مقـابل ماسمى بتعريفة جمركية قدرها ١٠٪ على السـلع المسـتوردة وكذلك حسن معـاملة الرعايا البريطانيين كمـا نصـت على انشـاء هيئـة برتغـالية بريطانيـة للاشراف على الجمارك والمرور فى النهر . انظر نص الاتفاقيه فى :

٣٥ ـ Hertset, M. : Map of Africa by Treaty, Vol. Banning, E. : Le Partage Politique de L'Afrique, Brussels 1888 p. 99.

وساعد عقد هذه المعاهدة على التقارب بين المانيا وفرنسا فرغم عدائهما السابق اتفقتا على عقد مؤتمر دولى للقضاء على ما اتفق عليه فى المعاهدة ووضع الأمور فى نصابها ، وبالرغم من أن المعاهدة قد وقعت فى ٢٦ فبراير ١٨٨٤ م الا أن اجراءات اعتمادها نهائيا من الهيئات التشريعية فى الدولتين لم تستكمل (٣٦) .

ويرجع السبب فى ذلك الى معارضة الدول الأوربية وعلى رأسها فرنسا ثم هولند فالولايات المتحدة وأخيرا المانيا ، حيث أرسل بسمارك فى ٧ يونية ١٨٨٤ معارضته لهذه المعاهدة الى الخارجية البريطانية ، وطلب بسمارك من فرنسا أن تقف موقفا متشددا من بريطانيا فى المسألة المصرية ، كما وجه الانتقادات الى سياسة جلادستون واقترح توحيد الجهود لوضع قواعد عامة لتنظيم التجارة فى المناطق التى لم تدخل بعد فى حوزة احدى الدول الأوربية ، وبدأت المانيا تسعى لعقد مؤتمر دولى لدراسة مسألة الكونغو ككل ، وهى القضية التى فجرتها البرتغال نفسها بالاضافة الى القضايا الأخرى المتعلقة بالاستعمار الأوربى فى افريقيا وتبنت الاقتراح الذى فكر فيه بسمارك وكان ذلك فى يونية ١٨٨٤ ، وبعد شهر تقريبا وافق اللورد جرانفيل (Granville) على الاشتراك فى المؤتمر (٣٧) .

ولكن لماذا وقفت المانيا موقفا عدائيا من المعاهدة البريطانية البرتغالية رغم أن مصالحها ضئيلة جدا فى حوض الكونغو ؟

ولماذا سعت فى نفس الوقت الى التعاون مع فرنسا لعقد هذا المؤتمر اندولى . ؟

وللرد على هذا التساؤل لابد من معرفة الاستراتيجية التى كان بسمارك ينتهجها للحصول على مستعمرات فى افريقيا بعد أن قرر دخول المانيا ميدان الاستعمار كغيرها من الدول الأوربية التى سبقتها فى هذا المضمار .

وكان من الطبيعى أن يؤدى سعى المانيا لأن تكون لها مستعمرات فى افريقيا الى معارضة من جانب انجلترا أقوى دولة استعمارية فى العالم

---

٣٦ — F.O. 84/1809/CC. 4023, No. 8, F.O. to Cohen, February, 29, 1884.

٣٧ — Keltie, John : Op. Cit. p. 11.

فى ذلك الوقت خاصة وأن المانيا قد اتضح انها تسعى لأن تصبح قوة أوربية عالمية ـ الا أن الاحتكاك بين القوتين لم يكن فى ذلك الوقت من الدرجة بحيث يؤدى الى تباعد وتنافر بينهما لأن المنافسة التجارية التى بدأت بينهما فى النصف الجنوبى من القارة وخاصة فى الجزء الجنوبى الغربى منها فى الفترة بين عامى ١٨٧٠ ، ١٨٨٤ لم تكن بنفس القدر الذى يؤدى الى مثل هذا التباعد بينهما (٣٨) •

ان سوء الفهم الذى حدث بين انجلترا والمانيا كان نتيجة لسلسلة من الأحداث التى أدت الى قطعية بينهما ، وكان الخلاف بين الدولتين قد بدأ حول منطقة انجرا بكوينا (Angra Pequena) وهى قطعة من الأرض على الساحل الجنوبى الغربى لأفريقيا ، وهى من أفقر المناطق الافريقية ، ولا تساوى لضجة لتى أثيرت حولها ولتى دفعت بسمارك بعدها الى الاستيلاء على الكاميرون ثم الاستيلاء على توجولاند ، وعلى جزء من غينيا الجديدة ، وعلى شرق افريقيا الألمانية فى محاولة للرد على التحدى البريطانى (٣٩) •

ففى عام ١٨٨٢ كان نشاط البعثات التبشيرية فى منطقة جنوب غرب افريقيا قويا ، ولكن هذه البعثات تعرضت للسلب والنهب من قبائل هذه المنطقة ، وطلبت هذه البعثات حماية من حاكم مستعمرة الكاب ـ الا أنه لم يتخذ أى اجراء عاجل • ولكن بعد اتصالات مستمرة أرسل رئيس حكومة الكاب هنرى باركلى (Henry Barkly) بعثة برئاسة وليم بلجراف (William Palgrave) لدراسة أحوال هذه المنطقة وكان ذلك فى عام ١٨٧٦ (٤٠) •

وقدم بلجراف تقريرا الى حكومة الكاب أوصى فيه بضم خليج والفيش (Walfish) وكل الساحل من نهر اورانج فى الجنوب حتى الحدود البرتغالية فى الشمال ، وفى ٦ مارس ١٨٧٨ ظهرت السفينة الحربية البريطانية اندسترى (Industry) فى خليج والفيش ورفعت

---

٣٨ ـ Crowe, S.E. : Op. Cit. p. 55.

٣٩ ـ C. 4190, No. 75, F.O. to C.O. July 1884 Enclosure Granville to Ampthill, July, 14, 1884.

٤٠ ـ لاشين ، فوزى السيد على : الاستعمار الالمانى فى جنوب غرب أفريقيا رسالة ماجستير بمعهد الدراسات الأفريقية ١٩٧٩ ص ٧٦ ـ ٧٧ •

العلم البريطانى على المنطقـة ، وتم اعلان سـيادة حكومة الكاب على المنطقة (٤١) • وفى هذه الفترة طلبت بعثة الراين التبشيرية من الحكومة الألمانية أن تطلب من الحكومة البريطانية التدخل فى جنوب غرب افريقيا لتطبيق النظام وحماية الرعايا الألمان من المبشرين والتجار ، ولكن الحكومة البريطانية رفضت اتخاذ أى اجراءات للتـدخل خارج منطقـة خليج والفيش (٤٢) •

ورفض وزير الخـارجية البريطـانى لورد جرانفيـل (Granville) أن توسع بريطانيا مجال نفوذها الى الشمال من نهر اورانج الذى كان يعتبر الحد الشمالى لمستعمرة الكاب ، وارسـل بسمارك الى الحكومة البريطانية يستفسر عما اذا كانت قد رفضت حمايتها على المنطقة وحمـاية بعثة الراين التبشيرية ولكن الحكومة البريطانية التزمت الصـمت ولم ترد على بسمارك الا بعد ستة أشهر (من ١٩ يناير ١٨٨٤ ــ يونية ١٨٨٤) (٤٣)•

واذا رجعنا الى الوراء قليلا نجد أن المانيا بدأت تهتم بهذه المنطقة عندما ارسل أحد رعاياها ويدعى لودريتز (Luderitz) الى وزارة الخارجية الألمانية يخبرها بأنه استكشف قطعة من الأرض وأنه يرغب حماية الحكومة الألمانية له (٤٤) •

وفى ١٨ أغسطس ١٨٨٣ ارسلت الحـكومة الألمانية تعليماتها الى قنصلها فى مدينة الكاب تخبره بموافقة بسمارك على منح لودريتز الحماية الألمانية طالما أن ذلك لا يتعارض مع سيادة الأخرين • كما ارسل بسمارك الى الحكومة البريطانية يستفسر عن مدى استعداد الحكومة البريطانية لحماية الأرواح والمصالح الأجنبية فى منطقة غرب افريقيا وأنه فى حالة

---

٤١ ــ Croves, G. P. : The Planting of Christianity in Afriea, Vol. 11 London 1954 p. 249.

٤٢ ــ From Lord Kimperely to Governor Sir H. Robinson British Blue Blook. 30 December 1880.

٤٣ ــ Walker, Erick : The Cambridge History of the British Empire, Vol. III, p. 526.

٤٤ ــ استطاع المستكشف الالمانى لودريتز ان يستولى على قطعة من الارض تبعد ١٥٠ ميلا شمال مصب نهر اورانج كما استولى على قطعة أخرى من السلطات المحلية على خليج انجرا بكونيا ورفع العلم الالمانى عليها .
Crowe S.E. : Op. Cit. p. 61.

رفض بريطانيا لهذه الحماية فانه يحتفظ لنفسه بحق وضعها تحت الحماية الألمانية ، وقد ساور بريطانيا شك فى موافقة بسمارك على ذلك ومن ثم له يحظ الموضوع باهتمام المسئولين البريطانيين ولم ترد بريطانيا الا بعد ستة أشهر كما سبق أن ذكرنا ، وقد اغضب هذا التصرف بسمارك الذى اضطر الى اتخاذ قرار بضم المنطقة الى المانيا (٤٥) .

وقد كان قرار بسمارك بالضم مفاجأة للحكومة البريطانية حيث لم يتوقع أحد أن بسمارك يريد بسط السيادة الألمانية على المنطقة ، وكان قرار اعلان الحماية فى ٢٤ ابريل ١٨٨٤ سببا فى توتر العلاقات بين المانيا وبريطانيا وازدياد التنافس بينهما ، وعندما وصله الرد البريطانى برفض كان بسمارك قد اتخذ الخطوة الايجابية بارسال برقية الى القنصل الألمانى فى مدينة الكاب يعلن فيها أن المستعمرات الألمانية شمال نهر اورانج ستكون تحت الحماية الألمانية كما ابلغ الحكومة البريطانية بقراره هذا (٤٦) .

وكانت المانيا فى ذلك الوقت تسعى للحصول على مستعمرات بأى طريقة وفى أى مكان وبأى تكلفة دون أن تضع فى الاعتبار القيمة الاقتصادية لهذه المناطق التى تسعى للسيطرة عليها وذلك مثلما حدث فى منطقة ابجرا بكوينا ولعل ذلك يرجع لدخولها ميدان الاستعمار متأخرا (٤٧) .

وهكذا حدث التباعد بين سياسة المانيا وبين سياسة انجلترا فى تلك الفترة بسبب سوء الفهم هذا ، وادت هذه القطيعة بدورها الى التقارب بين فرنسا والمانيا وكانت أولى ثمار هذا التقارب الاتفاق بينهما حول انعقاد مؤتمر برلين لعام ١٨٨٤ ــ ١٨٨٥ .

ويعتبر المؤرخون أن يوم ٢٤ ابريل ١٨٨٤ وهو اليوم الذى ارسل

---

٤٥ ــ Wienfeld, R.H. : Franco-German Relations 1878-1885, p. 143.

٤٦ ــ Yarnall, H. : The Great Powers and the Congo conference, 1884 - 1885, p. 46.

٤٧ ــ Thomson, R.S. : Fondation de l'Etat Independant du Congu (un chapitre de l'Histoire du Partage de l'Afrique) pp. 209-210.

فيه بسمارك البرقية الى قنصله فى مدينة الكاب معلنا ضـم المنطقة الى المانيا ـ ميلاد الامبراطورية الاستعمارية الألمانية (٤٨) •

وكان موقف انجلترا بالنسبة لمسألة انجرا بكوينا سببا فى اتنهاج بسمارك لسياسته الاستعمارية الى تعارض المصالح البريطانية وتسعى فى نفس اوقت الى التقارب من فرنسا ، كما جعلته يفكر بالفعل فى الاقتراح البرتغالى لعقد مؤتمر دولى ، وقد وافق عليه بعد استشارة فرنسـا فى ١٨ مايو كما وافقت فرنسا على برنامجه المقترح (٤٩) •

وفى تلك الفترة صـدرت التعليمات الى الدكتور ناختيجال بالعمل على ضم الكاميرون للنفوذ الألمانى ومن ثم الاقتراب من مجال النفوذ البريطانى على الساحل الشمالى الغربى لأفريقيا •

وفى ١٥ مـايو ١٨٨٤ تم تأسيس شركـة غينيا الألمـانية الجـديدة (German New Guina Company)

وتوضح هذه الأعمال المتتالية بجلاء أن بسمارك كان ينتهج سياسة معادية لبريطانيا ثم جاءت ازمة انجلترا بكوبنا لتقضى على آخر أمـل فى التفاهم بين انجلترا والمانيا (٥٠) •

الظروف التى مهدت لعقد مؤتمر برلين

كان بسمارك قد أرسل الى اللورد جرانفيل فور وصول رد بريطانيا على رسالته الخاصة بحماية الألمان فى جنوب غرب افريقيا ما يفيد أن مصالح المانيا الحيوية لا يمكن التضحية بها من أجل حسن النوايـا البريطانيا (٥١) • وبالرغم من أن بريطانيا اعترفت بالمحمية الألمانية فى انجرا بكوينا الا أن سياسة بسمارك بعد ذلك ادت الى احتكاك بين الدولتين، فلقد توسعت المستعمرة الألمانية فى انجرا بكوينا الى مناطق أخرى على السـاحل لم تكن لألمـانيا أية ادعاءات فيهـا من قبل • وعندما ادرك

---

٤٨ ـ Crowe, S.E. : Op. Cit. p. 72.

٤٩ ـ F.O. 84/1813, (C. 4205, No. 6)
Plessen to Granville, Cct. 8, 1884.

٥٠ ـ Oct, 8, 1884.
F.O. 84/1813 C. 4205. No. 11 Granville to Plessen, Oct. 8. 1884.

٥١ ـ Hargreaves, J. : Prelude to the Partition of West Africa, p. 335.

اللورد ديربى (Derby) هذه النوايا الألمانية ارسل الى اللورد امبتهل السفير البريطانى فى برلين يطلب منه أن يؤكد للحكومة الألمانية قرار الحكومة البريطانية الخاص بالتعليمات التى صدرت الى حكومة الكاب بوضع هذه المناطق من الساحل تحت النفوذ البريطانى حيث توجد هناك مصالح للرعايا البريطانيين (٥٢) .

وبالفعل قامت حكومة الكاب بضم بتشوا نلاند الى مستعمرة الكاب وادى ـ هذا الى غضب بسمارك الذى ارسل فى ٢٤ يولية ١٨٨٤ الى السفير الألمانى فى لندن ويدعى مونستر (Munster) ما يفيد رفض الاعتراف بالخطوة التى اتخذتها الحكومة البريطانية واعقب هذا الاحتجاج باعلان الحماية على الشريط الساحلى لانجرا بكوينا من حدود مستعمرة الكاب حتى الحدود البرتغالية فى انجولا (٥٣) .

وأدت هذه السياسة الألمانية الى زيادة التقارب مع فرنسا ، وظهر هذا واضحا فى مساندة المانيا لفرنسا فى مؤتمر لندن ٢٨ يونيو ١٨٨٤ أثناء مناقشة الميزانية المصرية ، وهى مسألة كانت تهم كل الدول الأوربية وبصفة خاصة انجلترا التى احتلت مصر بالفعل فى عام ١٨٨٢ ، وكان لمساندة المانيا لفرنسا أن وصلت المفاوضات الى طريق مسدود ، وكان فشل المؤتمر انتصارا للتعاون الفرنسى الألمانى الذى ربط المسألة المصرية بتلك القضايا فى غرب افريقيا واكد وحدة التحالف الجديد ضد المصالح البريطانية ، ولم يكتف بسمارك بمعارضة سياسة انجلترا فى مصر بل انتهز فرصة عقد المعاهدة البريطانية البرتغالية فى ٢٦ فبراير ١٨٨٤ وأبدى استعداده للتعاون مع فرنسا ضد هذه المعاهدة (٥٤) .

وبالفعل بدأت مباحثات بين المانيا وفرنسا ، وفى ١٤ أغسطس ١٨٨٤ اقترح وزير الشئون الخارجية الألمانى الكونت هانز فيليدت (Hanzfieldt) على الجانب الفرنسى ضرورة التوصل الى اتفاق فرنسى المانى للقضايا التى لم تسو فى غرب افريقيا . وهكذا جاءت المبادرة من المانيا التى كانت ترغب فى حرية الملاحة والتجارة فى حوض الكونغو ، والمناطق التى تسيطر عليها القوى الأوربية ، وتم الاتفاق على المقترحات الألمانية التى سلمت الى فرنسا فى ١٧ أغسطس ١٨٨٤ ، كما اتفق فى ذلك اللقاء

---

٥٢ — Ibid : p. 336.
٥٣ — Banning : Op. Cit. p. 6.
٥٤ — Crowe, S.E. : Op. Cit. p. 99.

الذى عقد بين بسمارك والسفير الفرنسى فى برلين على اسس هذا الاتفاق وقد تضمنت هذه الاسس :

١ ــ حرية التجارة فى حوض ومصب الكونغو •

٢ ــ تطبيق المبادىء التى اقرها مؤتمر فيينا حول الكونغو والنيجر بشأن حرية الملاحة فى الأنهار الدولية •

٣ ــ وضع الأسس الواجب مراعاتها عند احتلال مناطق جديدة فى افريقيا (٥٥) •

وفى هذا اللقاء تمت مناقشة مسألة الدعوة للمؤتمر ومكان انعقاده ، واقترح بسمارك عقد المؤتمر فى باريس ، ولكن كورسيل (Corceil) فضل عقده فى برلين ، وبعد ذلك كتب بسمارك الى الحكومة الفرنسية يعرب عن أنه اذا كانت فرنسا جادة فى عقد المؤتمر فان القيصر الألمانى سوف يتولى ارسال اجراءات عقد المؤتمر الى بقية الدول ، وبعد حوالى شهر جاء الرد الفرنسى بالموافقة على الدعوة للمؤتمر ، وتم الاتفاق على دعوة القوى الكبرى فى أوربا بالاضافة الى الولايات المتحدة ــ والدول الاسكندنافية لكى تكون قرارات المؤتمر أكثر فاعلية (٥٦) •

وقبل انعقاد المؤتمر بشهر تقريبا أى فى شهر أكتوبر ظهرت فى الأفق بعض الخلافات بين فرنسا والمانيا فقد اختلفت وجهات نظر الدولتين بخصوص المسألة المصرية وكان بسمارك يخشى من حدوث مواجهة بين فرنسا وانجلترا بهذا الخصوص كما كانت هناك اختلافات رئيسية بينهما حول المسائل المتعلقة بغرب افريقيا (٥٧) •

وفى هذه الاثناء وجد بسمارك أن الوقت مناسب للاتصال ببريطانيا ودعوتها للمؤتمر واطلاعها على الأسس التى على أساسها سيعقد هذا المؤتمر • واستمرت الاتصالات بين الدولتين بسبب طلب انجلترا المزيد من التفاصيل حول المؤتمر بالرغم من موافقة جرانفيل على عقد المؤتمر من حيث المبدأ (٥٨) •

---

٥٥ ــ Hertslet, M. : Op. Cit. Vol. I. pp. 409-411.

٥٦ ــ Keith, A.B. : The Beligian Congo and Berlin Act, Oxford, 1919, pp. 143-144.

٥٧ ــ General Act, Chapter II, Article IX.

٥٨ ــ Crowe, S.E. : Op. Cit. p. 105.

وكانت معارضة بريطانيا تدور حول غموض حرية التجارة خصوصا فى المبدأ الأول ، وشكل الرقابة الدولية فى حوض النيجر الاسفل فى المبدأ الثانى ، وأخيرا الى أى مدى يطبق مبدأ الاحتلال الفعلى • وكانت تعليمات السفير البريطانى فى المانيا ويدعى ماليت (Malet) فى السابع من نوفمبر ليس فقط تأييد مبدأ حرية التجارة فى حوض الكونغو بل معارضته اشراف أية هيئة دولية على النيجر من ولم تعترض بريطانيا على أى مبدأ من المبادىء الأخرى فيما بعد ، وكان هدف بريطانيا الأساسى هو التمييزبين الكونغو حيث يكون الوضع الدولى مفيدا له وبين النيجر الذى تسيطر عليه بريطانيا بفضل جهود السفير جورج جولدى (George Goldie) ، فقد كان يهم بريطانيا استبعاد أى تدخل من المانيا وفرنسا فى شئون النيجر(٥٩) •

وفى ١٣ نوفمبر عقد بسمارك اجتماعا مطولا مع ماليت (Malet) وفى هذا الاجتماع اكتشف ماليت أن اراء بسمارك منطبقة الى حد كبير مع أراء الحكومة البريطانية ، وتقدم بسمارك باقتراح يتضمن مناقشة بعض الموضوعات خارج اطار المؤتمر بين كل من المانيا وفرنسا وبريطانيا • ورغم أنه لم يحدد هذه المسائل الا أنه كان واضحا أن بسمارك يفكر فى بعض القضايا الاقليمية التى طلبت فرنسا استبعادها من برنامج المؤتمر •

وقبل افتتاح المؤتمر بيومين كانت علاقات بسمارك مع فرنسا قد وصلت الى درجة كبيرة من التوتر ، وكان بسمارك يرغب فى الاتفاق مع انجلترا حول الوضع فى الكونغو ، وظهر فى النهاية أن هناك شبه اتفاق بين الحكومة الألمانية والبريطانية حول معظم المسائل باستثناء مسألة النيجر ، وكان بسمارك يرى اشراف هيئة دولية على الملاحة فيه وكان يطمع فى تأييد الفرنسيين له فى هذا الرأى ــ ولكنه استسلم فى النهاية بعد أن وافق الفرنسيون على مطالب انجلترا خوفا من تطبيق مبدأ وجود هيئة دولية على الأنهار الأخرى فى افريقيا مثل السنغال وهذا بالطبع يضر بمصالح فرنسا (٦٠) •

---

٥٩ ــ Hargrewes, John : Op. Cit. p. 339.

٦٠ ــ Burns, Alan : History of Nigeria pp. 72-74.

ونجح بسمارك فى الحصول على اعتراف بريطانيا بالمنظمة الدولية فى الكونغو التى كان الملك ليوبولد قد نجح فى الحصول على ضمان دولى لهـــا •

كان هذا هو الوضع السائد بين مختلف القوى قبل انعقاد المؤتمر فى ١٥ نوفمبر حيث ظهر التباعد التدريجى بين المانيا وفرنسا فى الوقت الذى تم فيه التقارب بين المانيا وانجلترا ، وسيزداد هذا التقارب وضوحا اثنـــاء مباحثات المؤتمر بين مختلف الوفود التى شاركت فى اعماله •

المؤتمر ومادار فى جلساته

دعت المانيا مختلف القوى الدولية لحضور هذا المؤتمر الذى عقد فى مدينة برلين فى الفترة من ١٥ نوفمبر ١٨٨٤ الى ٢٦ فبراير ١٨٨٥ وحضره مندوبو أربع عشرة دولة هى (النمسا والمجر ، والمانيا ، وبلجيكا والدنمارك ، وايطاليا ، وهولندا ، والبرتغال ، وروسيا ، واســبانيا ، والسويد ، والنرويج ، وتركيا ، والولايات المتحدة الامريكية ، وانجلترا) وقد عبر عنها بانتج بقوله ان المؤتمر قد اشتمل على الست دول الكبرى فى ذلك الوقت والسبع دول البحرية ثم الولايات المتحدة الامريكية (٦١) •

واذا ألقينا نظرة على الدول والقوى المشتركة فى هذا المؤتمر نجد ان هناك خمس دول كان لها أكبر الأثر فى مجريات الأمور داخل قاعات المؤتمر واعنى بذلك فرنسا والمانيا وبريطانيا والبرتغال وهيئة الكونغو الدولية (المنظمة الدولية) ، وكانت المانيا تساند هذه الهيئة مما ساعد على التباعد بين فرنسا والمانيا ــ هذا فى الوقت الذى تقاربت فيه المانيا من انجلترا، اما البرتغال فقد ارتبطت سياستها بفرنسا ، على ان الكولونيل ستورش (Staurch) والكابتن فاندرفيلد (Van der Velde) اللذين ارســلهما الملك ليوبولد كانا يمثلان الهيئة هذا بالاضافة الى أعضــاء الوفد البلجيكى الحكومى والأمريكى الذين كانوا جميعا يعبرون عن وجهة نظر هذه الهيئة الدولية •

اما فيما يتعلق بالقوى الأخرى نجد ان هولندا ايدت بشكل واضح مطالب كل من المانيا وبريطانيا بخصوص حرية التجارة فى حوض الكونغو ، واما روسيا فقد وقفت الى جانب فرنسا بسبب كرهها التقليدى لاى مبدأ

---

٦١ — Banning, E. : Op. Cit. p. 102.

يتضمن التجارة الحرة خوفا من تطبيق هذا المبدأ على مصالحها فى الدانوب، اما موقف ايطاليا فكان مشكوكا فيه طوال جلسات المؤتمر ، لأنها كانت ترغب فى الابقاء على علاقات ودية مع بريطانية من أجل مصالحها ، ولذا فانها انضمت الى القوى التى تطالب بتطبيق مبدأ حرية التجارة فى حوض الكونغو (٦٢).

عقد المؤتمر عشر جلسات كاملة ، وقد بدأت الجلسة الأولى فى ٢٥ نوفمبر ١٨٨٤ وعقدت الجلسة الاخيرة فى ٢٦ فبراير ١٨٨٥ وهو تاريخ الذكرى الأولى لتوقيع المعاهدة الانجليزية البرتغالية ، وقد انحسرت أعمال المؤتمر الاساسية فى اللجان الفرعية التى كانت تعقد بين الجلسات العامة ، وصدرت قرارات المؤتمر فى شكل ميثاق عام (General act) ، وتضمن ثمان وثلاثين مادة ووقعه ممثلو الدول المشتركة فى المؤتمر عدا الولايات المتحدة الامريكية . ونصت المادة (٣٨) من نصوص المؤتمر على أن المواد التى تعتمدها الدول المشتركة سوف تصبح سارية المفعول بعد اعتمادها من كافة الدول ، ونصت هذه المادة أيضا على أن ترسل الحكومات اعتمادها من كافة الدول ونصت المادة (٣٨) أيضا على ان ترسل الحكومات اعتمادها لقرارات المؤتمر الى حكومة الامبراطورية الالمانية وسوف تقوم الحكومة الالمانية بايداع كل الموافقات فى أرشيف الحكومة ، وبعد وصول كل الموافقات على نصوص المؤتمر يصدر مرسوم نهائى فى شكل بروتكول (Protocol) يوقعه ممثلو كل القوى المشتركة فى المؤتمر ، وبعد التوقيع ترسل نسخة منه الى كل دولة اشتركت فى المؤتمر (٦٣) .

وبالفعل اعتمدت كل الدول المشتركة فى المؤتمر هذه القرارات عدا الولايات المتحدة ، وقد ذكر بسمارك فى اجتماع ١٩ أبريل عام ١٨٨٦ ان الولايات المتحدة سوف تدخل فى قائمة القوى التى ربما تنضم بعد ذلك الى نصوص المؤتمر حسب المادة ٣٧ التى تنص على ان القوى التى لم توقع على المرسوم العام للمؤتمر سوف تنضم اليه فيما بعد (٦٤) .

وألحق بالبروتوكول الخاص تلك المعاهدات التى وقعتها الدول المشتركة فى المؤتمر فيما بينها ، وآخرها تلك المعاهدة التى وقعت فى ٢٣ فبراير

---

٦٢ — Keltie, J. : Op. Cit. p. 97.

٦٣ — انظر نصوص المؤتمر فى :
Hertslet, M. : Map of Africa by Treaty, 3 Vols. London 1906.

٦٤ — Hertslet, M. : Op. Cit. p. 485.

١٨٨٥ والتى اعترفت فيها بلجيكا بالمنطقة التى بسطت الهيئة الدولية للكونغو نفوذها عليها كدولة مستقلة تابعة للهيئة التى اسسها الملك ليوبولد وحملت اسم « دولة الكونغو الحرة » (Congo Free State) وظلت تحمل هذا الاسم حتى ضمتها بلجيكا اليها فى عام ١٩٠٨ (٦٥) •

ويمكن ان نميز بين مادار فى جلسات المؤتمر الرسمية الشاملة وبين الاتفاقيات الجانبية بين دولتين أو أكثر من دول المؤتمر •

اولا : ما تم فى جلسات المؤتمر الرسمية :

ان أهم المسائل التى عالجها المؤتمر فى جلساته الرسمية هى :

١ ــ حرية التجارة فى حوض نهر الكونغو :

استمر بحث هذه المسألة حوالى أسبوعين أى من ١٥ نوفمبر ١٨٨٤ حتى الاول من ديسمبر من نفس العام • وقد كشفت المناقشات حول هذا الموضوع عن تقارب بين المانيا وانجلترا والهيئة الدولية ، وكانت هذه المجموعة تهدف الى التوسع فى عملية حرية التجارة ككل فى أواسط افريقيا، ولكن فرنسا والبرتغال عارضتا هذا المبدأ حيث سعت كل منهما الى تضييق حدود التوسع بقدر الامكان ، وظهرت القطعية الواضحة بين أعضاء وفود فرنسا والمانيا ، وقد تعاطف بسمارك مع انجلترا والهيئة الدولية وحقق بذلك انتصارا ملموسا لمبادىء حرية التجارة (٦٦) •

وقد نجح المؤتمر بعد الجلسة الأولى فى تحديد الحدود الجغرافية لحوض الكونغو وشكلت لجنة لهذا الغرض ، وأمكن رسم هذه الحدود التى تمتد من مناطق سقوط الامطار على الحواف الجبلية للاحواض المجاورة لانهار نيارى (Niari) ، واجووى Ogowe ، وشنكارى (Schari) ونهر النيل فى الشمال ، وسقوط الأمطار الشرقية على بحأة تنجانيقا فى الشرق وكذلك مناطق سقوط الامطار على أحواض الزمبيزى ولوجى (Logé) فى الجنوب ، وقد اثارت البرتغال بعض المشكلات بسبب رغبتها فى ضم بحيرة تنجانيقا لاملاكها لكنها لم تنجح فى ذلك وامكن الانتهاء من بحث هذه المسألة مع اوائل ديسمبر ليتفرغ المؤتمر لبحث المسألة الثانية (٦٧) •

---

٦٥ ــ Crowe, S.E. : Op. Cit. p. 123.

٦٦ ــ Crowe, S.E. : Op. Cit. p. 105.

٦٧ ــ انظر خريطة توزيع هذه الانهار

٢ ــ حرية الملاحة فى حوض الكونغو والنيجر :

استغرق بحث هذه المسألة شهر ديسمبر بأكمله ثم تأجلت الجلسات بسبب اعياد رأس السنة الميلادية • ثم عادت لجان المؤتمر تستأنف اعمالها مرة أخرى فى السابع من يناير ١٨٨٥ لدراسة المبحث الثالث • ومنذ البداية تعاونت فرنسا مع المانيا فى وضع مشروع تقدمت به المانيا لبقية وفـود المؤتمر ، وكان المشروع يتعلق بالملاحة فى أحواض الأنهار الافريقية • ورغم هذا فقد حدثت اختلافات بين المانيا وفرنسا عند دراسة ومناقشة بنود هذا المشروع وكانت فرنسا هى التى طلبت ادراج موضوع النيجر فى جدول أعمال المؤتمر ، ووافق بسمارك على ذلك فى ذروة صراعه مع انجلترا دون ان يدرك المغزى الذى تسعى اليه فرنسا من ورء ذلك ، حيث كانت فرنسـا فى السـنوات السـابقة لانعقاد المؤتمر فى صراع مع انجلترا حول حوض النيجر وبعض المناطق فى ساحل غينيا ، وكانت فرنسـا ترمى من وراء ادراج هذا الموضوع فى المؤتمر ان تضمن نجاحا لمصالحها هنـاك بتأييد من المانيا (٦٨) •

هذا وقد كان هناك مشروع المانى ينص على انشاء نظام مشترك للرقابة الدولية على النهرين قدمه بسمارك بالفعل الى القوى المشتركة فى المؤتمر فى أول لقاء بعد ١٥ نوفمبر ، ولكن هذا المشروع لم يوزع حتى يوم ٢٥ نوفمبر ولم يناقش حتى الاجتماع الرابع الذى عقد فى أول ديسـمبر ١٨٨٤ •

وتقدمت بريطانيا بطلب لمعالجة موضوع النيجر مستقلا عن الكونغو ، ووافق المؤتمر بالاجماع على الطلب البريطانى ، وكان هذا ضربة قاسية لفرنسا التى كانت تأمل مساندة المانيا حسب الاتفاق بينهما على تطبيق نفس الوضع السائد فى الكونغو ، ولكن بسبب جهود بسمارك فقدت فرنسا هذا التأييد الالمانى •

فقد حدث تغير من جانب بسمارك نحو فرنسا ، وقد ساعد هذا بريطانيا على تحقيق ما تريده ، وأولها الاعتراف بوضعها فى ذلك الجزء من ساحل افريقيا الغربية ، واستطاعت أن تتجنب امتداد الهيئة الدولية الى النيجر ، وأعلنت حرية الملاحـة لكل الدول على النهرين ولكن مـع فـارق بين

---

٦٨ ــ Crowe, S.E. : Op. Cit. p. 117.

الوضعين حيث كان البريطانيون هم الذين يضمنون هذه الحرية فى النيجر والتى اوكلتها بريطانيا الى شركة النيجر الملكية التى حصلت على البراءة الملكية فى عام ١٨٨٦ (٦٩) .

وأدى هذا الى نكسة للمصالح الفرنسية فى النيجر ، وفى نفس الوقت زاد من التوتر الالمانى الفرنسى حول الكونغو الى حد القضاء على الوفاق بين الدولتين بسبب تبنى بسمارك قضية الهيئة الدولية للكونغو التى انشأها الملك ليوبولد،وكان موقف بسمارك هذا سببا فى قيام دولة الكونغو الحرة. وجاء اعتراف بريطانيا بالهيسة فى أوائل ديسمبر وبعدها اعترفت بها ايطاليا فى ١٩ ديسمبر ،ثم النمسا والمجر فى٢٤ ديسمبر وجاء اعتراف هولندا يوم ٢٧ ديسمبر ، اما اسبانيا فقد جاء اعترافها فى السابع من يناير وروسيا فى الخامس من فبراير والسويد والنرويج فى العاشر من فبراير والدنمارك فى الثالث والعشرين من نفس الشهر وهو نفس اليوم الذى اعترفت فيه بلجيكا لتصبح آخر دولة تعترف بالمنظمة (٧٠) .

ونصت المادة (٣٠) من نصوص المؤتمر على ان تتعهد بريطانيا بتطبيق مبادىء حرية التجارة والملاحة فى مياه النيجر وفروعه ومنافذه الواقعة تحت سيادتها ، كما تعهدت بريطانيا بالعمل على حماية التجار الأجانب ، وجميع المنشآت التجارية فى أحواض النيجر الواقعة تحت السيادة البريطانية وذلك بشرط التزام التجار بشروط وقواعد التجارة هناك .

كما نصت المادة (٣٣) على حرية الملاحة فى النيجر والمياه الاقليمية خلال الحرب حيث تظل نصوص المؤتمر سارية المفعول فى زمن الحرب ، وعلى هذا تظل الملاحة حرة لكل الدول سواء المحايدة منها أو التى فى حالة حرب (٧١) .

٢ ــ الاحتلال الفعلى وشروطه :

استغرق بحث هذا الموضوع حوالى ثلاثة اسابيع بدأت فى السابع من يناير عام ١٨٨٥ ونصت المادة (٣٤) من نصوص المؤتمر على أن أى قوة تستولى على أى جزء من الأرض على سواحل القارة خارج

---

٦٩ ــ Perham, Margery : Lugard, the Years of Adventure, p. 481.

٧٠ ــ Keith, A.B. : Op. Cit. p. 63.

٧١ ــ انظر نصوص المؤتمر فى Hertstel : Op. Cit. p. 484.

ممتلكاتها الحالية أو التى لم تمتلكها أو التى تنوى اعلان حماية عليها ـ يجب أن تخطر كل القوى الموقعة على مرسوم المؤتمر حتى تتمكن من الدفاع عن ادعاءاتها لخاصة •

وظهر واضحا منذ بداية المؤتمر اتفاق الاراء بين انجلترا والمانيا فى الوقت الذى انهار فيه التفاهم الودى بين المانيا وفرنسا ، وكان هذا المبدأ آخر المسائل التى ناقشها المؤتمر ، ولم تكن هناك تكتلات حول هذا المبدأ ، وكان القصد من دراســة هذا الموضوع تحديد الالتزامات السياسية نحو الشعوب الخاضعة للسيطرة الأوربية فى المستقبل وتحديد الاجراءات الواجب اتباعها قبل احتلال مناطق جديدة على سواحل افريقيا• ولقد اضطر بسمارك أن يفصل مسألة حرية الملاحة والتجارة عن قضية الاحتلال الفعلى ، وكان مضطرا لقصرها على سواحل أفريقيا فقط بالاضافة الى المناطق التى سوف تستعمر فى المستقبل ، وقد عرض بسمارك المشروع الألمانى الفرنسى على المؤتمر والخاص بالاحتلال الفعلى فى الســابع من يناير ١٨٨٥ (٧٢) •

عرض المشروع على لجنة انتهت فى أواخر يناير من صياغته واعتمده المؤتمر فى ٣١ يناير ١٨٨٥ واحتوى على بندين :

البند الاول : يقضى بأن أية قوة تحصل على منطقة ما فى المستقبل على ســواحل افريقيا وتقع خارج ممتلكاتها الحالية عليها أن تصــحب ذلك باعلان كل القوى الأخرى فى المؤتمر •

أما البند الثانى : فيقضى بعدم اعلان أية دولة الحماية على منطقة من القارة الافريقية دون أن تكون هذه الحماية مؤيدة باحتلال فعلى للمنطقة على أن تقوم هذه الدول بالعمل على تقدم سكان المنطقة وتقيم بهــا حكومة عادلة مع نظام قضائى عادل ، واحترام حقوق المواطنين واحترام حقوق التجارة والنقل والمواصلات (٧٣) •

وبعد مناقشات بين الوفود حول مسألة الاحتلال الفعلى تمت الموافقة النهائية على مواد الاحتلال الفعلى على أن تكون فى فصل مستقل من الميثاق النهائى ، وكانت المسودة النهائية قد تضمنت بالفعل ضرورة اعلان

---

٧٢ ـ Protocol VII, Seventh Meeting of the Conference, January, 7, 1885.

٧٣ ـ Crowe S.E. : Op. Cit. p. 181.

الدول الأخرى عند احتلال أى منطقة من افريقيا • وان يتبع هذا الاحتلال بقوة فعلية تضمن قيام نظام للحكم بها ، وهكذا تم فى برلين ودون ممثلين لأى دولة افريقية وضع الأسس التى تم على أساسها تقسيم افريقيا الى وحدات صارت فيما بعد أساس الدول الحديثة ، وهى الأسس التى وضعها التجار الأوربيون ورجال البعثات التبشيرية بعد الغاء تجارة الرقيق وصارت هذه الأسس حدود الدول المستقلة الجديدة فى افريقيا (٧٤) •

٤ ــ **اما المسائل الانسانية** مثل مقاومة تجارة الرقيق فقد ناقشها المؤتمر فى عبارات موجزة وغامضة وبالتالى فانها لم تشكل الا جزءا بسيطا من أعمال المؤتمر •

ولقد جاء فى المادة التاسعة من نصوص المؤتمر ما يفيد : حيث أن تجارة الرقيق محرمة طبقا لمبادىء القانون الدولى ، ولذا فانه لابد من العمل على منع الاتجار فى الرقيق سواء برا أو بحرا ، وعلى القوى التى تمارس سيادتها أو نفوذها على بعض المناطق فى حوض الكونغو أن تعلن تحريم تجارة الرقيق هناك ، وعلى كل القوى أن تجند كل الامكانيات المتاحة لوضع حد لتجارة الرقيق ومعاقبة كل من يمارس العمل بها (٧٥) •

واذا كان المؤتمر قد عالج مثل هذه الموضوعات بشكل موسع وكرس اعضاء الوفود جهدهم لمناقشة هذه القضايا فان مباحثات جانبية كانت تسير جنبا الى جنب مع اجتمعات المؤتمر ونجحت هذه الاجتماعات الجنانبية أن تحل بعض المشاكل التى واجهت المؤتمر منذ انعقاده •

ثانيــا ــ الاتفاقات الجانبية بين دول المؤتمر : (٧٦)

من المعروف أن فرنسا قد وافقت من حيث المبدأ على التعاون مع المانيا لعقد مؤتمر برلين على شرط استبعاد كل المسائل الاقليمية من برنامج المؤتمر لانها كانت ترى أن التفاوض المباشر مع منافسيها دون

---

٧٤ ــ Crowder, M. : Weot Africa Under Colonial Rule, p. 63.

٧٥ ــ General Act, Chapter II, Article IX.

٧٦ ــ سيقتصر الحديث فى هذه الاتفاقيات الجانبية على المشاكل التى حلت خارج جلسات المؤتمر الرسمية باتفاق تم بين دولتين أو أكثر ممن يهمهم الأمر .

تدخل من قوى خارجية أفضل لها ، واستجاب بسمارك لذلك على أساس أن هذا هو الثمن اللازم دفعه لأجل تعاونها معه •

ومنذ افتتاح المؤتمر كان بسمارك يأمل أن تحل كل المسائل الجانبية قبل انتهاء المؤتمر • وقد بدأت المفاوضات لتسوية المسائل الاقليمية فى الكونغو ، ودغم أن هذه المفاوضات الاقليمية قد تمت خارج الجلسات الرسمية للمؤتمر الا أنها تشكل جزءا هاما من انجازات المؤتمر ، وكان لموقف كل من انجلترا والمانيا بصفة خاصة تأثير كبير على تلك المفاوضات بسبب تأييدها لموقف الهيئة الدولية فى الكونغو ضد رغبات فرنسا • وقد تعقدت المفاوضات بسبب عدم رغبة كل من المانيا وانجلترا فى الضغط على فرنسا وذلك لأن بسمارك كان حريصا على عدم القضاء على الوفاق الألمانى الفرنسى ، كما أن انجلترا لم تحاول الضغط على فرنسا خوفا من سوء العلاقات بين الدولتين •

ولقد مرت المفاوضات التى تمت بين فرنسا والبرتغال والهيئة الدولية بثلاث مراحل :

١ ــ بدأت المرحلة الأولى تحت اشراف بسمارك فى بداية ديسمبر ١٨٨٤ وتوقفت فى نهاية الشهر بسبب الاتصالات الألمانية والانجليزية مع فرنسا لمعرفة رأيها فى الموضوع •

٢ ــ انتقلت المفاوضات الى باريس فى بداية يناير ١٨٨٥ حيث توصلت فرنسا والهيئة الدولية الى اتفاق فى الخامس من فبراير الا انهما فشلا فى التفاهم مع البرتغال بخصوص ما أتفقا عليه •

٣ ــ انتقلت المفاوضات مرة أخرى الى برلين فى منتصف فبراير حيث اقتنعت البرتغال فى النهاية بمساعدة انجلترا والمانيا بتوقيع معاهدة مع الهيئة الدولية فى ١٤ فبراير ١٨٨٥ (٧٧) •

وكان ليوبولد قد وافق على توقيع معاهدة مع فرنسا بشرط قيام فرنسا بالوساطة بينه وبين البرتغال لكى تقنعها بالاعتراف بادعاءات الهيئة على الشاطىء الايمن والايسر للكونغو حتى نقطة تقع فى المياه العميقة والتى يمكن استخدامها كنهاية لخط السكك الحديدية حول شلالات

---

٧٧ — Crowe, S.E. : Op. Cit. p. 157.

النهر ، وقد وعـد فيرى (Ferry) رئيس وزراء فرنسا بالقيام بذلك (٧٨) .

ولكن فيرى كان يتآمر مع البرتغال من وراء ليوبولد حيث أعطاهم وعدا بالمساعدة أثناء تفاوضهم مع الهيئة الدولية ، وتتيجة لذلك توقفت المفاوضات بين فرنسا والهيئة الدولية (٧٩) .

وكانت البرتغال ترغب فى وساطة فرنسا بينها وبين الهيئة الدولية ، وارسلت حكومة البرتغال مبعوثا يدعى سنهور كارلوس (Senhor Carlos) ومعه تعليمات كمحاولة لكسب ثقة فيرى وأن يؤكد له الحاجة الى التعاون الفرنسى البرتغالى فى التفاوض مع الهيئة . وفى نفس الوقت الذى وصل فيه المبعوث البرتغالى أى فى يوم ٣١ ديسمبر ١٨٨٤ ــ وصل ممثلو ليوبولد وتقابلوا مع فيرى وبدأت المفاوضات بين الاطراف الثلاثة ولكنها تعقدت واضطر فيرى فى النهاية الى انهاء المباحثات ، وأفاد أنه سيكتب الى برلين معلنا أنه وجد استحالة التفاهم مع الهيئة الدولية وكتب فعلا الى بسمارك بذلك .

وبعد أسبوع استأنف فيرى المفاوضات من جديد وكان كل طرف على استعداد لتقديم تنازلات ، فأعلنت الهيئة الدولية عن استعدادها لاعطاء البرتغال الشاطىء الشمالى للكونغو حتى خط ١٣° شرقا على أن تحتفظ لنفسها بكل الشاطىء الايمن وكذلك المناطق شمال هذا الشاطىء حتى الحدود الفرنسية (٨٠) .

وأعلن فيرى عن استعداده لعرض هذه المقترحات على البرتغال ، وبالفعل عرضها وكان رد البرتغال أنهم على استعداد للتخلى عن الشاطىء الايمن للكونغو ولكنهم طالبوا بالشاطىء الشمالى حتى نوكى (Nokki) كما طالبوا بمنطقة داخلية عبارة عن شريط يقع شمال نهر الكونغو ، ولكن الهيئة الدولية رفضت هذه المطالب البرتغالية ، وهكذا دخلت المفاوضات فى طريق مسدود وعادت المشكلة برمتها الى المؤتمر (٨١) .

---

٧٨ — Banning : Op. Cit. p. 54.
٧٩ — Thomson : Op. Cit. p. 264-5.
٨٠ — Crowe, S.E. : Op. Cit. p. 168.
٨١ — Thomson : Op. Cit. p. 268.

ولم يكن بسمارك على استعداد للتدخل بين فرنسا والهيئة الدولية ، وهكذا تعقدت المشكلة ، لكن بعد مفاوضات مطولة بين الوفود الفرنسية والانجليزية والبلجيكية فى برلين تقرر أن تستمر الهيئة فى اتصالها مع فرنسا طالما أن فرنسا قد وعدت بمساعدتها فيما بعد فى مفاوضاتها مع البرتغال ، وبدأت المفاوضات من جديد فى برلين ، وفى الخامس من فبراير تم توقيع معاهدة باريس بين فرنسا والهيئة الدولية على أساس ما وصلوا اليه من تفاهم (٨٣) •

وطبقا لهذه المعاهدة حصلت فرنسا على كل المنطقة الغنية لنهر نيارى كويلو (Niari Kwilu) وحددت الحدود الجنوبية على امتداد مصب نهر شيلونجو (Chilongo) ، كما حصلت فرنسا على الشاطىء الايمن من مانجانج (Manjang) بما فى ذلك حوض ليكون (Likone) ، بينما حصلت الهيئة الدولية على المناطق جنوب خط شيلونجو وكل الشاطىء الايمن من الكونغو حتى مانيانجا (Manyanga) ، ولم تشر المعاهدة اطلاقا الى الوعد الفرنسى بالوساطة مع البرتغال ، ولكن ارفق بالمعاهدة خطاب خاص من الحكومة الفرنسية يؤكد هذا الوعد (٨٣) •

وهكذا انتهت المفاوضات مع الهيئة وفرنسا وبقى أمام هذه الهيئة الدولية مشكلة كبرى تتمثل فى الوصول الى اتفاق مع البرتغال ، وكان انتقال المفاوضات الى برلين اعترافا بفشل فيرى (Ferry) فى الوساطة بين البرتغال والهيئة الدولية ، ومن ثم انعزلت البرتغال بعد تخلى فرنسا عنها وبدأ بسمارك يمارس ضغطه على البرتغال • وبمجرد انتقال المباحثات الى برلين اعلن ليوبولد عن استعداده لمنح البرتغال المنطقة الداخلية فى كابينا (Cabina) وكذلك الشاطىء الشمالى للكونغو حتى نوكى (Nokki) ، وقد قدمت هذه التنازلات فى الثانى من فبراير ونقلها كورسيل الى السفير البرتغالى فى برلين (٨٤) •

ورغم اعلان البرتغال قبولها من حيث المبدأ ألا أنها اعربت عن ضرورة صياغتها بشكل واضح مع تأكيد مساندة كل من فرنسا والمانيا وبريطانيا لها •

---

٨٢ — Banning : Op. Cit. p. 58.

٨٣ — Thomson : Op. Cit. p. 273.

٨٤ — F.O. 84/1821 Malet to Granville, Feb. 5, 1885, Tel. 26.

وفى السابع من فبراير ١٨٨٥ ارسلت كل من بريطانيا وفرنسا والمانيا مذكرة الى الحكومة البرتغالية توصي فيها بترتيب اتفاق مع الهيئة الدولية للكونغو تحصل بمقتضاه البرتغال على الشاطىء الشمالى للكونغو والخط الساحلى حتى شيلونجو (Chilongo) • وفى العاشر من فبراير جاء رد البرتغال متضمنا رفض هذه المقترحات ورغبة الحكومة البرتغالية فى الحصول على منطقة كابينا وميناء بانانا (Banana) فى مصب نهر الكونغو والشاطىء الشمالى للنهر حتى فيفى (Vivi) بدلا من نوكى (Nokki) (٨٥) •

وقد انزعج بسمارك لهذا الموقف البرتغالى الجديد وكان رد الفعل بين الدول هو انذار ثلاثى من المانيا وانجلترا وفرنسا ، وفى ١٣ فبراير اعلنوا فيه رفض المطالب البرتغالية فى بانانا والشاطىء الشمالى حتى فيفى (Vivi) ، كما اعلنوا أنه فى حالة اصرارها على مطالبها فسوف تسحب كافة الامتيازات التى وعدت بمنحها لها فى الكونغو (٨٦) •

وفى ١٥ فبراير اعلنت البرتغال موافقتها على المطالب التى قدمتها الهيئة الدولية وتم توقيع معاهدة فى برلين فى نفس اليوم الذى وافقت فيه (جـ١ فبراير) ، وبفضل هذه المعاهدات حصلت الهيئة الدولية على كل الشاطىء الايمن لنهر الكونغو حتى مانيانا (Manyana) وهى منطقة تمتد شمال النهر بما فى ذلك شريط من الساحل طوله ٢٢ ميلا فوق المصب مما اعطاها السيطرة على رافده حيث تضمنت المنطقة ميناء بانانا ، وأخيرا المنطقة جنوب الكونغو الممتدة شرقا لمسافة بعيدة على خط عرض نوكى (Nokki) •

أما فرنسا فقد عزلت تماما حسب اتفاقية الخامس من فبراير عن مصب النهر لكنها حصلت على الوادى الخصب فى نيارى كويلو (Niari Kwilu) ، كما حصلت أيضا على الشاطىء الايمن من مانيانجا (Manyanga) • ورغم عدم حصولها على مناطق على المحيط فانه كان بامكانها أن تستخدم مجراه العلوى بسهولة من الجابون (٨٧) •

---

٨٥ — انظر هذه الاماكن على الخريطة رقم : ١

٨٦ — Crowe, S.E. : Op. Cit. p. 172.

٨٧ — Banning : Op. Cit. p. 61.

أما البرتغال فقد حصلت على كل المناطق فى الكونغو حتى الشاطىء الشمالى للنهر وكذلك النهر نفسه حتى نوكى (Nokki) ، وكان حصولها على نوكى نفسها قد اعطاها فرصة للاتصال بمناطقها الواسعة فى انجولا •

وبفضل هذه المعاهدات مع الهيئة الدولية تم اعتراف المؤتمر بها ، وفى الاجتماع التاسع الذى عقد فى ٢٣ من فبراير اعلن الكولونيل ستورش (Staurch) أنه قد تم الاعتراف من جانب الوفود بالهيئة باستثناء تركيا (٨٨) •

وفى الاجتماع النهائى للمؤتمر والذى عقد فى ٢٦ فبراير ١٨٨٥ برئاسة بسمارك اعلن انضمام الهيئة الى القوى الموقعة على ميثاق المؤتمر النهائى وتحولت الهيئة الى قوة رسمية ذات سيادة واشار اليها فى حديثة باسم « دولة الكونغو الحرة » (٨٩) •

تقييم المؤتمر واثاره على الخريطة السياسية لغرب افريقيا

فى الحقيقة ان المؤتمر سواء فى مناقشاته أو النتائج التى توصل اليها يعطى صورة حية للصراعات المختلفة بين القوى الأوربية الكبرى فى ذلك الوقت وخاصة المانيا وفرنسا وانجلترا ، أما بقية الدول التى اشتركت فى المؤتمر فقد كانت تسير فى فلك واحدة من هذه القوى أو بايعاز منها (٩٠) •

ومن الأمور المدهشة أن هدف المؤتمر كان دراسة احتلال سواحل أفريقيا فقط ، ورغم هذا فان الميثاق النهائى للمؤتمر الذى شمل كل المناقشات التى دارت فى المؤتمر صار أساسا لاحتلال أى جزء من افريقا حيث وضع المؤتمر أسس احتلال أية قوة لأى جزء من القارة بشرط أن يصحب ذلك احتلال فعلى لهذا الجزء (٩١) •

---

٨٨ ــ لم تعترف تركيا بالمنطمة الا فى ٢٥ يونية ١٨٨٥
Keith, A.B. : Op. Cit. p. 62.

٨٩ ــ Crowe, S.E. : Op. Cit. p. 152.

٩٠ ــ الجمل ، شوقى عطا الله : مرجع سابق ص ٣١٢ .

٩١ ــ Crowe, S.E. : Op. Cit. p. 63.

ونجح المؤتمر فى تحقيق هدفين رئيسيين :

أولا ــ قيام دولة حرة كبرى فى قلب افريقيا الاستوائية تكون من الناحية الاسمية مفتوحة لكل الشعوب وبعيدة عن المنافسات الدولية •

ثانيا ــ وضع المؤتمر أسس التنظيمات الاقتصادية المتعلقة بالمناطق الداخلية فى القارة ، وقد أيد المؤتمر فى قراراته مبادىء الحرية والمنافسة الشريفة على عكس النظم الاستعمارية البالية ، كما اتاح المؤتمر الفرصة لتقسيم القارة شمالى وجنوبى خط الاستواء بطريقة لا تسبب الخلافات الطاحنة بين الدول الأوربية المستعمرة كتلك التى صاحبت استعمار الأمريكتين حيث تم تقسيم القارة بشكل سليم •

وهذا المرسوم الذى وقعته كل القوى المهتمة بأفريقيا والذى تضمن كما يبدو ثمان وثلاثين مادة كن خطوة هامة ، وكان الموقعون على قرارات المؤتمر يحدوهم الأمل فى رسم خريطة افريقيا فى المستقبل دون صرعات دموية بين الدول الكبرى ، فقد نص المؤتمر على حرية التجارة بأوسع معانيها فى حوض الكونغو وعلى حرية الملاحة فى الأنهار الأخرى ، ونص على حياد الكونغو الذى وضع تحت حماية الهيئة الدولية للكونغو ، ونص على حماية المواطنين ومصالحهم والقضاء على تجارة الرقيق • كما وضح المؤتمر للقوى الأوربية التى ترغب فى ضم مناطق جديدة فى المستقبل أن تعلن ذلك للقوى الأخرى وأن يكون هذا الاحتلال فعليا • وقد طبقت أسس الاحتلال الفعلى على سواحل غرب افريقيا وهى التى كانت قد سيطرت عليها القوى الأوربية بالفعل ، أو تم الاستيلاء عليها فى السنوات القليلة التى تلت انعقاد المؤتمر •

لكن اذا كان المؤتمر قد نظم عملية الحصول على اجزاء من القارة الافريقية بطريقة قانونية الا أن هذا الاجراء القانونى تتضاءل قيمته اذا ما نظرنا اليه فى ضوء ما طرأ بعد ذلك من احداث وما تلاه من تطورات بينهم •

واذا كانت المانيا قد تحالفت مع فرنسا من أجل عقد هذا المؤتمر وانجاحه فان الاحداث التى دارت فى جلسات المؤتمر اثبتت فشل هذا التحالف وعدم امكان استمراره ، هذه فى الوقت الذه حدث فيه تقارب

بين المانيا وانجلترا التى استفادت من المؤتمر فى ابعاد فرنسا عن النيجر الاسفل وعن حوض الكونغو وهو نجاح كبير للدبلوماسية البريطانية (٩٢) .

وترى سابيل كرو (Sabyl Crowe) استاذة القانون الدولى أن المؤتمر حاول أن ينظم العلاقات بين القوى الاستعمارية على أسس قانونية محدودة ــ لكن الذى حدث هو دفع عجلة التكالب الاستعمارى على القارة الافريقية بالاضافة الى أن هدف المؤتمر كان كما قيل تحقيق حرية الملاحة والتجارة فى أحواض النيجر والكونغو ــ لكنه فى الحقيقة أسفر فى النهاية عن احتكار الدول الكبرى للتجارة فى المناطق التى خضعت لنفوذها فى هذه الجهات (٩٣) .

وهكذا نجد أن مؤتمر برلين لعام ١٨٨٤/١٨٨٥ قــد أعطى اعترافا دوليا لموقف كان موجودا بالفعل ، فقد حاول المؤتمر وضع اطار معين ينظم العلاقات الدولية فيما يتعلق بأفريقيا ، وبعد المؤتمر بدأ التكالب على القارة بالفعل وبشكل عنيف وسريع فأخذت كل القوى تقدم ادعاءاتها على مختلف مناطق القارة .

فقد بدأت فرنسا مثلا تقدمها نحو السودان شرقا وأمكن ربط مناطق نفوذها فى السنغال بمناطقها فى حوض النيجر ، وعلى الطرف الآخر من النهر وقع السير جورج جولدى (George Goldie) معاهدات مع الحكام فى دلتا النيجر وامتد شمالا لدولة سوكوتو وامارة جواندو . واما المانيا فقد اعادت سيطرتها على الكاميرون وتوجو كما وقعت فرنسا معاهدات مع حكام دلتا النيجر فى ساحل داهومى (٩٤) .

وليس حقيقيا أن المؤتمر قد قسم القارة الافريقية ، ذلك لأن المسائل الاقليمية قد استبعدت من جدول أعمال المؤتمر . واما القضايا الاقليمية التى تهم الدول الكبرى فقد تم دراستها والاتفاق بشأنها فى سلسلة من الاتفاقيات الثنائية التى امتدت لعدة ســنوات بعــد المؤتمر ، كما

---

٩٢ ــ Johnston : Colonization in Africa, p. 189.

٩٣ ــ الجمل ، شوقى عطا الله : مرجع سابق ص ٣١٥ .

٩٤ ــ انظر هذا الصراع الاوربى على دولة سوكوتو فى : ابراهيم ، عبد اللهعبد الرازق : دولة سوكوتو منذ عام ١٨١٧ حتى ١٩٠٣ رسالة دكتوراه غير منشورة بجامعة القاهرة ــ معهد البحوث والدراسات الافريقية . ١٩٨٢ الفصل السادس .

أن المسائل الهامة التى تتعلق بحدود حوض الكونغو قد ناقشتها الوفود فى برلين خارج جلسات المؤتمر •

ولكى تكتمل أمامنا صورة الآثار التى ترتبت على هذا المؤتمر بعد أن وضع اطار التقسيم والتكالب فى المستقبل يتطلب الأمر دراسة الوضع فى القارة الأفريقية وخاصة فى الجزء الغربى منها ومدى ما أحدثه هذا التكالب بعد المؤتمر من تغييرات جذرية فى الخريطة السياسية لغرب أفريقيا •

موقف القوى الأوربية بعد المؤتمر

أحدث مؤتمر برلين تغييرا فى سياسة الدول الأوربية ، فبعد عام ١٨٨٥ تمت دراسة أسس التوسع فى كل من لندن وباريس على مبادىء جديدة من أجل الالتزام بشروط وقرارات المؤتمر والاستفادة منها • ففى يونية ١٨٨٥ كونت بريطانيا من المناطق بين لاجوس والكاميرون مع شواطىء النيجر حتى لوكوجا (Lokoja) وايبى (Ibi) ــ محمية سميت بأسم محمية ساحل النيجر (٩٥) •

وفى ٥ يونية ١٨٨٥ كانت المانيا قد وقعت اتفاقية مع توجو وضعت بمقتضاها مناطق ملك توجو الواقعة على الساحل الغربى لافريقيا حتى لومى (Lome) تحت الحماية الألمانية ، وبعد ذلك قامت المانيا فى نفس العام بتثبيت أقدامها فى هذه المنطقة وتوطيد نفوذها فيها (٩٦) •

وقد قامت الشركات البريطانية بادارة المناطق فى اعالى النيجر على أسس ان هذه وسيلة لا تكلف الحكومات مسئوليات أو نفقات ضخمة ، وحتى تبعد الحكومة عن أى التزامات وحتى تحافظ على حرية الملاحة التى اقرها مؤتمر برلين (٩٧) •

وبعد حصول شركة النيجر الملكية ((Royal Niger Company) على البراءة الملكية فى عام ١٨٨٦ مارست كل الحقوق باسم التاج كما سمح لها بجباية الضرائب من أجل تغطية مصاريفها الادارية ، وبالفعل

---

٩٥ ــ Hargreaves, J. : Op. Cit. p. 338.

٩٦ ــ Hertslet, M. : Op. Cit. Vol. III. p. 903.

٩٧ ــ تركت انجلترا حكم هذه المناطق لشركة افريقيا الوطنية وبعد ذلك شركة النيجر الملكية التى انتهت براءتها الملكية فى اوائل عام ١٩٠٠ حيث تولت الحكومة هذه المسئولية .

شكلت اطارا حكوميا تمكنت عن طريقه منع المانيا وفرنسا من أى تدخل فى النيجر الأسفل (٩٨) •

وعندما تولى سالسبورى (Salisbury) الوزارة البريطانية فى عام ١٨٨٥ كانت أول الاعمال التى قام بها فتح المجال نحو التوسع شمالا من مستعمرة الكاب باعلان الحماية البريطانية على بتشوانلاند وهى منطقة صحراوية كبيرة تقع بين افريقيا الجنوبية الغربية الالمانية وجمهورية البوير المستقلة فى الترنسفال المعروفة انذاك (بجمهورية جنوب افريقيا) (٩٩) •

وازدادت أهمية هذا العمل باكتشاف مناجم الذهب الضخمة فى عام ١٨٨٦ فى ويتوتر سترند (Witwater Strand) فى الترنسفال ، وكانت بتشوانلاند بمثابة قناة السويس نحو الشمال والتى عن طريقها تم انتقال جماعة من المستوطنين البيض الذين احتلوا روديسيا الجنوبية (١٠٠) •

وكان العمل الثانى الذى انجزه سالسبورى فى هذا المجال هو انقاذ ما بقى لبريطانيا من مناطق نفوذ فى شرق افريقيا بعد أن تفاوض مع المانيا فى عام ١٨٨٦ على تقسيم مناطق النفوذ الى قسمين متتبعا الحدود بين كينيا وتنزانيا • وفى عام ١٨٩٠ تنازل سالسبورى عن جزيرة هيلوجولاند فى بحر الشمال لالمانيا ، وتم توقيع سلسلة من المعاهدات لتسوية الحدود اعترفت المانيا بمقتضاها بادعاءات بريطانيا فى زنجبار وكينيا وأوغندا وروديسيا الشمالية وبتشوانلاند وشرق افريقيا (١٠١) •

وفى ابريل ١٨٨٧ عقدت بريطانيا معاهدة مع حكومة الكونغو نصت على أن يكون نهر اوبانجى (Ubanghi) فرع الكونغو الغربى هو الحد الفاصل بين الحدود الفرنسية وحدود دولة الكونغو واعتبرت المنطقة شماله منطقة فرنسية والتى فى جنوبة تابعة لدولة الكونغو (١٠٢) •

---

٩٨ — Flint, : Sir George Goldie and the Making of Nigeria, London 1960, p.p. 70-87.

٩٩ — Oliver Ronald and Atmore : Op. Cit. p. 112.

١٠٠ — رغم ان هذه المنطقة كانت فى مناطق البوير الا ان المستغلين للمناجم الكاب ومن بريطانيا نفسها ، وكان قائد هؤلاء المستغلين هو سيسل جون رودس الذى كون ثروة ضخمة من الماس فى كمبرى .

١٠١ — Ronald Oliver and Atmore : Op. Cit. p. 112.

١٠٢ — الجمل ، شوقى عطا الله : مرجع سابق ، ص ٥١٨ .

وفى عام ١٨٩٠ وقع سالسبورى معاهدة مع فرنسا بخصوص الحد الغربى لنيجيريا فى مقابل اعتراف بريطانيا بالمحمية الفرنسية فى مدغشقر ، وفى عام ١٨٩١ وقعت بريطانيا اتفاقية مع البرتغال بخصوص نياسلانلا (ملاوى الآن) وروديسيا الشمالية والجنوبية ، وهكذا رسمت الخطوط العريضة لسياسة سالسبورى الافريقية قبل سقوطه فى عام ١٨٩٢ •

وتضمنت هذه السياسة استمرار احتلال مصر كما حددت ممتلكات بريطانيا فى غرب أفريقيا أقل مما كانت عليه قبل بدء عمليات التقسيم ، ولكنه وجد فى التوسع تجاه الشمال من افريقيا الجنوبية البريطانية عن طـــريق بتشوانلانلا صوب روديسيا ونياسلانلا تعويضا عن تلك المناطق من غرب أفريقيا ، وكان سالسبورى يرى ان التوسع البريطانى فى المناطق المدارية يجب ان يقوم على المشروعات التجارية دون الدخول فى مناوشات حربية مع القوى الأخرى (١٠٣) •

وتعتبر الفترة من ١٨٩١ حتى قيام الحرب العالمية الاولى سنوات الحرب فى افريقيا حيث كانت الحملات الحربية هنا وهناك ، وشهدت هذه الفترة استرداد السودان ، والحرب بين ايطاليا والحبشة ، وحروب جنوب افريقيا والحروب بين الالمان وقبائل الهيرورو • (Herroros) فى جنوب غرب افريقيا • وفى عام ١٨٩٨ بدأت معركة أم درمان ودخل كتشنر الخرطوم واكمل استرداد السودان الذى وضـــع تحت الحكم الثنـــائى المصرى الانجليزى ، وجاءت حادثة فاشودة فى الفترة التى ظهر فيها البريطانيون فى الخرطوم عندما تقدم الجنرال مارشال (Marchan) بقوة من الكونغو الفرنسى نحو تلك المدينة على النيل الابيض وحدث احتكاك بين الدولتين انتهى بتوقيع معاهدة بين فرنسا وانجلترا فى مارس ١٨٩٩ تم بمقتضاها استبعاد الفرنسيين تماما من حوض النيل وصار خط الحدود بين واداى فى الغرب ودارفور فى الشرق حيث صارت دارفور تحت السيطرة البريطانية، اما واداى فصارت تحت السيطرة الفرنسية ، هذا وقد استبعدت المانيا أيضا من حوض النيل بموجب الاتفاقية الالمانية الانجليزية فى عام ١٨٩٣ (١٠٤) •

---

١٠٣ — Salisbury to Dufferin, 30 March, 1892 C. 6701, (1892) LVI. 778.

١٠٤ — Lucas, Sir Charles : The Scramble and Franco German National Problems, Quoted in Betts, p. 16.

اما فرنسا فقد بدأت بعد مؤتمر برلين تدعم نفوذها على ساحل افريقيا الغربى ، وفى عام ١٨٩٣ تأسست رسميا مستعمرات ساحل العاج وغينيا الفرنسية ، وفى نفس العام دخلت القوات الفرنسية داهومى وعزلت ملكها بيهانزن (Bchanzin) آخر ملوكها المستقلين ، وصارت داهومى منذ عام ١٩٠٠ مستعمرة فرنسية • وقد حدث أهم توسع فرنسى فى غرب افريقيا فى حوض نهر السنغال حيث التقوا بامبراطورية أحمدو شيخو بن الحاج عمر واستمرت الاشتباكات بين القائد الفرنسى جالينى (Gallieni) وقوات الشيخ أحمدو وحتى انهارت امبراطورية التوكولور بعد القضاء على قواتها العسكرية ودخل الفرنسيون وادى النيجر الاعلى واستولوا على باماكو عام ١٨٨٣ كما التقت مجموعة من الفرنسيين بساموری أحد قواد المسلمين من الماندنجو الذى نجح فى عام ١٨٧٠ بعد سلسلة من الغزوات أن يوحد قبائل الماندنجو فى المنطقة الشاسعة ما بين حوض نهر الفولتا العليا والنيجر ، وسار خصما عنيدا للفرنسيين ، ورغم احتلالهم لمعظم مناطقة فى عام ١٨٩١ الا انه لم يهزم نهائيا الا فى عام ١٨٩٨ (١٠٥) •

وفى عام ١٨٩٤ استولى الفرنسيون على تمبكت واستولوا على ساى (Say) ولكنهم وجدوا مقاومة من جانب البريطانيين فى هذه المنطقة فبمجرد أن سيطر الفرنسيون على أعالى ووسط النيجر وبدأوا يكرسون اهتمامهم لاحتلال المناطق بين وادى النيجر وممتلكاتهم على الساحل الغربى لافريقيا كان لابد من التصادم مع القوات البريطانية فى هذه المناطق (١٠٦) •

---

١٠٥ ــ رشوان ، نصر : دولة ساموری فى غرب أفريقيا ١٨٧٢ ــ ١٨٩٨ رسالة دكتوراه غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الافريقية عام ١٩٧٨ ص ٢٩٣ •

١٠٦ ــ كان التوسع البريطانى فى ساحل الذهب ونيجيريا قد جاء نتيجة للاحتلال العسكرى للاشانتى فى عام ١٨٩٦ ، ثم احتلال نيجيريا الذى بدأ من ثلاثة محاور مختلفة الاول من لاجوس حيث توسعت مستعمرة الجزيرة الصغيرة فاصبحت محمية غطت معظم بلاد اليوروبا ، والثانى من انهار الزيت حيث بدأت شركات ليفربول بعقد معاهدات مع الزعماء الافارقة ، والثالث من نيب (Nupe) وجنوب بلاد الهوسا حيث بدأت شركة النيجر الملكية بعد حصولها على البراءة الملكية فى عام ١٨٨٦ عقد معاهدات مع دولة سوكوتو وامارة جواندو انظر :
Oliver Ronald and Atmore : Op. Cit. p. 118.

وكان تشامبرلين الذى تولى وزارة المستعمرات فى عام ١٨٩٥ قد ادرك أن شركة النيجر الملكية عاجزة عن مجاراة المناخة الفرنسية فى هذه المنطقة التى كانت قد امتدت الن برجو (Borgu) ولبتاكو (Liptako) وساى (Say) ، وهى مناطق قريبة من مجال النفوذ البريطانى فى دولة سوكوتو وعندما احتل الفرنسيون برجوعين تشامبرلين الكابتن فرديك لوجارد (F. Lugard) فى عام ١٨٩٧ ليتولى الاشراف على قوة حدود غرب افريقية (West Africa Frontier Forces) التى استطاعت السيطرة على هذه المنطقة وضمتها الى التاج البريطانى بعد ان وقعت معاهدة مع فرنسا فى ١٤ يونية ١٨٩٨! قبل الفرنسيون بمقتضاها ادعاءات بريطانيا فى دولة سوكوتو • وبعد عامين تولت الحكومة الاشراف على نيجيريا الشمالية واستمر التوسع البريطانى حتى سقطت دولة سوكوتو فى عام ١٩٠٣ (١٠٧) •

وهكذا ظلت السياسة البريطانية تجاه فرنسا تعتمد على الدبلوماسية ، وقد تم ذلك بتوقيع اتفاقية أغسطس ١٨٨٩ حيث رسم حد من الساحل فى اتجاه الشمال حتى خط العرض التاسع ، وهكذا بقيت غابات زيت النخيل فى أراضى اليورط داخل النفوذ البريطانى بينما ظلت المناطق الداخلية فيما وراء خط عرض ٩ مثل المنطقة المواجهة لساحل الذهب مفتوحة للتوسع الأجنبى (١٠٨) •

وبعد ذلك سويت الأمور فى غرب افراقيا وأصبح من المتفق عليه أن تستولى فرنسا على المناطق الداخلية فيما وراء الجزائر حتى الحدود الشمالية لمجال نفوذ شركة النيجر الملكية وتمتد الى جانب الغربى من بحيرة تشاد (١٠٩)

وكانت فرنسا حريصة على عدم تدخل اية قوة أوربية ما بين ممتلكاتها فى شمال أفرقيا وامبراطوريتها فى النيجر ، وفعلا حصلت فى عام ١٨٩٠

---

١٠٧ — ابراهيم ، عبد الله عبد الرازق ابراهيم : مرجع سابق ص ٣٢٥ .

١٠٨ — Salisbury to Aberdare, 23 July 1889 S.P. Secretary's notebook.

١٠٩ — Robinson and Gallaghar : Op. Cit. p. 301.

على اعتراف الحكومة البريطانية بامتداد مجال النفـوذ الفرنسى الى الساحل الشمالى الغربى من بحيرة تشاد والنيجر ثم حلت هذه المسألة فى عام ١٨٩٨ عندما تقرر أن تحتل كل المنطقة من السـودان الاوسط والشمالى ، وقامت ثلاث حملات فرنسية لتنفيذ ذلك بدأت الأولى من الجزائر بقيادة الكابتن لامى (Lamy) ، وبدأت الثانية من الكونغو الفرنسى وتحركت الثالثة من الستغال بقيادة الكابتن فوليت وشانون (Foulet and Chanoine) (١١٠) .

وفى أول فبراير ١٩٠٣ وقعت اتفاقية بين فرنسا وانجلترا لرسم خط الحدود بين الحد الغربى لساحل الذهب والخط الشرقى لساحل العاج ، كما وقعت بريطانيا فى نفس العام اتفاقية بينها وبين المانيا بشأن الحدود بين يولا (Yola) وبحيرة تشاد (١١١) .

كما وقعت بريطانيا معاهدة أخرى مع المانيا بخصوص ريوديل رى (Rio del Rey) على الساحل الغربى لافريقيا (١١٢) .

وفى ٨ ابريل ١٩٠٤ ابرمت انجلترا وفرنسـا اتفاقين الأول بشـأن نيوفوندلاند وسرب ووسـط افريقيا ، والثانى هو الاتفاق الودى بين الدولتين .

وهو الاتفاق الذى اعلنت فيه فرنسا انها لن تعرقل عمل انجلترا فى مصر ونظير هذا تعلن حكومة الجمهورية الفرنسية انها لن تعمل على تغيير مركز مراكش السياسى ، كما اعلنت انجلترا انها لن تعرقل اعمال فرنسا فى هذه الجهات (١١٣) .

وفى ٢٥ يونية ١٩٠٤ وقعت ألمانيا معاهدة مع بريطانيا بشأن الحدود بين ساحل الذهب وتوجولاند (١١٤) .

---

١١٠ — Johnston, H. : Op. Cit. p. 221

١١١ — Hertslet, M. : Op. Cit. Vol. III, p. 930.

١١٢ — Ibid : p. 910.

١١٣ — الجمل — شوقى عطا الله : مرجع سابق ص ٤٩٢ .

١١٤ — Hertslet, M. : Op. Cit. Vol. III. p. 935.

وخلاصـــة القول أن مؤتمر برلين ١٨٨٤/١٨٨٥ جاء تتويجا لجهود ومحاولات القوى الأوربية لتنظيم عملية التكالب والسيطرة على القارة الأفريقية ، ويعتبر هذا المؤتمر خاتمة المطاف لذلك الصراع الدولى الأوربى على تلك القارة وثمرة من ثمار الدبلوماسية الأوربيـــه فى تكالبها على السيطرة على قارة برمتها مثل قارة أفريقيا • وتكشف لنا النظرة الشمولية لخريطة افريقيا قبل انعقاد المؤتمر ان حوالى ١٠٪ من مساحة افريقيا كان فى ذلك الوقت واقعا تحت السيطرة الأوربية ، ويتمثل هذا الجزء الضئيل فى استحواز فرنسا على الجزائر وبريطانيا لحوالى مائة وثلاثين ألف ميل مربع فى جنوب افريقيا ــ ولكن بعد المؤتمر وفى أقل من عشرين عاما تلت هذا المؤتمر اســتولى الاوربيون على الجزء الباقى من القارة باستثناء مراكش وطرابلس ، وقد تمت معظم هذه الاعمال من التقسيم خلال وبعد مؤتمر برلين الذى اســفر فى النهاية عن تغير ملاح الخريطة السياسية لقارة افريقيا بعد ان نظم عمليات السيطرة والاحتلال • فاحتلت بلجيكـــا الكونغو وكانت بريطانيا قد احتلت مصر عام ١٨٨٢ واعلنت حمايتها على الصـــومال فى عـــام ١٨٨٤ وهى مناطق كانت تابعة لمصر ، وضمت بتشبواتلاند وجنوب افريقيا ونيجيريا وافريقيا الشرقية البريطانية ، وتوسعت فى غينيا وسيراليون وساحل الذهب واعلنت حمايتها على اوغندا فى عام ١٨٩٤ وبسطت نفوذها على السودان باسم مصر بعد ذلك بفترة قصـــيرة •

اما فرنسا فكانت تحتل تونس عام ١٨٨١ ثم توسعت فى الســـنغال واحتلت منطقة الكونغو الفرنسية والصومال الفرنسى وساحل العـــاج ومدغشقر فى تلك الفترة أيضا ، اما المانيا فانها كونت مستعمراتها فى جنوب غرب افريقيا والكاميرون وتوجولاند وافريقيا الشرقية الالمانية ، وتوسعت البرتغال فى غينيا البرتغالية وفى انجولا وافريقيا الشرقية البرتغالية ، واحتلت ايطاليا ليبيا عام ١٩١٢ ، وسقطت مراكش (المغرب) تحت السيطرة الاجنبية حيث احتل الاسبان جزءا من شمالها واستولى الفرنسيون على المنطقـــة الجنوبية ، وخضعت طنجة لنظام دولى ، واستمر الوضع كذلك حتى قامت الحرب العالمية الاولى وانهزمت المانيا واقتسمت الدول الاوربية مستعمراتها فى افريقيا حيث حصلت بريطانيا على مستعمرة افريقيا الشرقية (تنجانيقا) وعلى جزء من الكاميرون اضيف الى نيجيريا وعلى جزء من توجولاند أضيف الى ساحل الذهب •

وقد حصلت فرنسا على الجزء الباقى من توجولاند وضمته الى داهومى وعلى الجزء الأكبر من الكاميرون وضمته الى افريقيا الاستوائية الفرنسية ، كما أن بلجيكا والبرتغال حصلت كل منهما على جزء من مستعمرة افريقيا الشرقية الألمانية وحصل اتحاد جنوب افريقيا على مستعمرة جنوب غرب أفريقيا الالمانية .

وتنتهى بذلك قصة الصراع الأوربى على افريقيا وتخرج المانيا زعيمة عملية التقسيم والتكالب من كل هذه الغنيمة صفر اليدين ، وتظل بصمات مؤتمر برلين لعام ١٨٨٤/١٨٨٥ وأثاره السياسية تنعكس على القارة الأفريقية حتى بعد استقلالها .

مصادر البحث ومراجعه

اولا : وثائق غير منشورة باللغة الانجليزية :

١ ـ F.O. 84/1809 (C. 4023) No. 8. F.O. to Cohen, February, 29, 1884.

٢ ـ F.O. 84/1813 (C. 4205) No. 6. Plessen to Granville, Oct. 8, 1884.

٣ ـ F.O. 84/1813 (C. 4205) No. 11, Granville to Plessen, Oct. 8, 1884.

٤ ـ F.O. 84/1821 Malet to Granville, Feb., 5, 1884, Tel. 26.

٥ ـ F.O. 84/1821 Malet to Granville, Feb., 14, 1885, Africa, 101.

٦ ـ F.O. 841/1810 Petre to Granville, April, 13, 1884, Africa, 27. (enclosure list of factories established on Banks of Congo, February 1883).

٧ ـ F.O. 146/Corresponedence Resecting Affairs in the Oil River District on the West Coast of Africa and the Question of the British Protectorate, Confidential Print No. 4827 and No. 27.

ثانيا : وثائق منشورة باللغة الانجليزية :

١ ـ Hertslet, M. Map of Africa by Treaty, 3 Vols. London 1906.

٢ ـ Salisury : Special Papers.

٣ ـ White Books : Angra Bequena, 1884.

ثالثا : رسائل علمية :

١ ـ ابراهيم ، عبد الله عبد الرازق : دولة سوكوتو منذ عام ١٨١٧ حتى عام ١٩٠٣ رسالة ماجستير غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الافريقية ، القاهرة ١٩٨٠ .

٢ ــ لاشين ، فوزى على : الاستعمار الألمانى لجنوب غرب أفريقيا رسالة ماجستير غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية ، القاهرة ١٩٧٨ .

٣ ــ رشوان ، نصر : دولة ساموری فى غرب أفريقيا ١٨٧٢ ــ ١٨٩٨ ، رسالة دكتوراة غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية ١٩٧٨ .

٤ ــ فلتاووس ، بطرس فخرى : شركة النيجر الملكية ، رسالة ماجستير غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية عام ١٩٧٩ .

رابعا : المراجع العربية :

١ ــ الجمل ، شوقى عطا الله : تاريخ كشف افريقيا واستعمارها . القاهرة ١٩٨٠ الطبعة الثانية .

٢ ــ خلف الله ، عبد الغنى عبد الله : مستقبل افريقيا السياسى . القاهرة ١٩٦١ .

٣ ــ رياض ، زاهر : استعمار أفريقيا . القاهرة ١٩٦٥ .

٤ ــ صفوت ، محمد مصطفى : مؤتمر برلين ١٩٧٨ . القاهرة ١٩٥٧ .

٥ ــ عبده ، على ابراهيم : مصر وافريقيا فى العصر الحديث القاهرة ١٩٦٢ .

٦ ــ عودة ، عبد الملك : السياسة والحكم فى افريقيا . القاهرة ١٩٥٩ .

٧ ــ فيشر ، هيربرت : تاريخ أوربا فى العصر الحديث ١٨٧٩ ــ ١٩٥٠ تعريب أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع . القاهرة ١٩٧٦ .

خامسا : مراجع باللغة الأجنبية :

1. Banning, Emile : Le Partage Politique de l'Afrique, Brussels, 1888.

2. Betts, F. Raymond : The Scramble for Africa London 1986.

3. Burns, Alan : History of Nigeria, London 1972.

4. Crowder, Michael : West Africa Under Colonial Rule, London 1971.

5. Crowe, S. Erie : The Berlin West African Conference 1884-1885, London 1941.

6. Flint, J.D. : Sir George Goldie and the Making of Nigeria, London 1960.

7. Gann, L.H. : Colonialism in Africa 1870-1960. Vol. I. Combridge 1969.

8. Groves, C.P. : The Planting of Christianity in Africa Vol. II, London 1954.

9. Hargreaves, John : Prelude to the Partition of West Africa, London 1963.

10. Johnston, Harry : A History of the Colonization of Africa, London 1913.

11. Keith, A.B. : The Belgian Congo and Berlin Act, Oxford 1919.

12. Oliver Ronald and Antony Atmore : Africa Since 1800, London 1967.

13. Perham, Margery : Lugard, the Years of Adventure, London 1956.

14. Robinson Ronald and John Gallaghar and Alice Denny : Africa and the Victorians, London 1961.

15. Thomson, R.S. : Fondation de l'Etat Independant du Congo, Brussels, 1933.

16. Tull, G.K. and P. Bulwer : Britain and the World in the 20th Century, London 1971.

17. Walker, Erick : The Cambridge History of the British Empire Vol. III.

18. Wienfeleld, R.H. : Franco-German Relations 1878-1885, Baltimore 1929.

19. Yarnall, H. : The Great Powers and Congo Conference, 1884 and 1885. Gottingen 1934.